الرحلة

النجدية الحجازية

صور من حياة البادية

١٣٣٨هـ — ١٩٢٠م

بقلم

محمد بهجة البيطار

الدمشقي

الرحلة

النجدية الحجازية

صور من حياة البادية

١٣٣٨هـ - ١٩٢٠م

بقلم

محمد بهجة البيطار

الدمشقي

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده . سبحانه لا نحصي ثناء عليه هو كما أثنى على نفسه ، نحمده ونشكره ، ونتوب اليه ونستغفره . ونصلي ونسلم على من أرسل رحمة للعالمين سيدنا محمد ، وعلى سائر اخوانه الأنبياء والمرسلين ، ومن تبعهم باحسان .

وبعد فلما انقضى عهد الحكومة التركية في ديار الشام ، وحلّت محلها الحكومة العربية الأولى التي ترأسها الأمير فيصل بن الحسين (قبل أن يصير ملكا) دعا اليه الامام السيد محمد رشيد رضا من مصر ليكون عونا له في الشؤون العربية والاسلامية ، فكان منهما أن اعتزما ارسال كتابين باسمهما مع رسولين أمينين يبلغان رسالتيهما كتابة ومشافهة الى الامير عبد العزيز آل سعود في نجد (قبل أن يكون ملكا أيضا) ، وهما يدعوان الى نصرة الاسلام ، و « عقد اتفاق عام بين جميع أمراء الجزيرة العربية وأئمتها الكرام دفعا للعدوان الاجنبي » . وتم اختيارهما لهذا الضعيف ليبلغ الرسالة الدينية التي كتبها السيد محمد رشيد رضا صاحب « المنار » ، وللأخ شلاش النجدي الذي كان مؤتمن الأمير فيصل لايصال الرسالة السياسية . فسافرنا بمشيئة الله متوكلين عليه . مسلّمين أمرنا اليه . ولقينا من المخاطر والاهوال ما تشيب له النواصي ، وكنا

نحتسب ذلك عند الله ، ونرجو أن يكون ذلك جهادا في سبيله ، وابتغاء رضوانه ومثوبته . ويجد القارىء وصفا لذلك كله في مذكراتي هذه المفصلة عن هذه الرحلة التي امتدت خمسين يوما .

وقد أشار عليَّ بعض الاخوان بنشر هذه الرحلة لطرافتها ، ولتصويرها الواقعي الأمين لفترة مضطربة رهيبة من حياة الجزيرة العربية كانت تتخطف فيها الأرواح وتسلب الأموال وتنتهك الحرمات ، ولتذكير المسلمين بالخط الحديدي الحجازي الذي يربط بين الاقطار ويقرب الأمصار ، عسى أن يكونوا أكثر جداً في تجديده وأوفر حرصا على اعادته لفوائده الروحية والاقتصادية والاجتماعية . وقد آثرت أن تطبع الرحلة كما كتبت أول مرة ، ولم أعمل فيها يد التنقيح أو التهذيب لتبقى لها صورتها الاولى ولتحمل جوها الاصيل .

وفي آخر الرحلة ثلاثة كتب مهمة في موضوعها . ورأيت أخيرا أن أكتب ترجمة موجزة لحياتي وألحقها بها . والحمد لله رب العالمين .

محمد بهجة البيطار

يوم السبت في ٨ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ (١٩٢٠ م)

باسمه تعالى وبحمده

سرنا على بركة الله ويمنه . وسار بنا القطار الحجازي الخاص من (محطة القنوات) في دمشق الشام ، الساعة الثالثة وعشر دقائق صباحا[1] . ومررنا بالمحطات التالية :

(الكسوة) في الساعة الرابعة والدقيقة العشرين .

(دير علي) الساعة الخامسة . ثم (المسمية) في الساعة الخامسة والنصف ، وقد شاهدنا بها آلة ميكانيكية لاستخراج الماء . وفيها ماء عذب خفيف .

(جباب) الساعة السادسة . ولم نقف عندها ، أما في المحطات الأولى فقد وقفنا في كل منها بضع دقائق .

(خبب) في الساعة السادسة والربع . ثم (المحجة) بعد ربع ساعة ، ثم (ازرع) في تمام الساعة السابعة . ثم (خربة الغزالة) في السابعة والدقيقة الخامسة والعشرين . وهي أول قرية اجتمعنا فيها باخواننا الميدانيين ، ثم وصلنا الى (درعا) الساعة الثامنة ، وهي أرقى من كل ما سبقها من المحطات . وأبنية الحكومة فيها فخمة . وقد تجولنا فيها قليلا . ولم تتيسر لنا زيارتها كلها ، ولا زيارة اخواننا الميدانيين فيها ، وفيها نزل لطيف ، وقد أنسنا فيها بلقاء أبناء عمنا الافندية حمدي وبشير وفهمي ، وجلسنا عندهم نحو نصف ساعة ، وابتعنا من مخزنهم وغيره بمقدار مائتين وخمسين قرشا ، وابن عمنا حسني افندي هو محاسب حوران الآن سلمهم الله . وفي درعا فرع للخط من جهة الغرب الى حيفا .

---

(١) بالتوقيت الغروبي لا الزوالي .

وتابعنا سيرنا فبلغنا (المفرق) في الساعة الحادية عشرة والدقيقة الخامسة عشرة . وقد شاهدنا بأم العين آثار المعارك الدموية الهائلة التي جرت في تلك البقعة بين العرب والترك . من عظام بالية ، وقطارات معطلة ، وتحصينات مخربة . فحسبنا الله ونعم الوكيل .

وبلغنا (خربة السمرا) الساعة الثانية عشرة مساء ، ثم (الزرقاء) في الساعة الواحدة ليلا . وهي قرية يسكنها الجركس ، والذي اشتهرت به هو عينها الشهيرة بعين (الزرقاء) . وهي نهر في الجنوب الغربي ويمتد من البلقاء الى بحيرة لوط . ثم (عمّان) الساعة الثانية ليلا وفيها آلة ميكانيكية لاستخراج الماء ، وقد تناولنا في المحطة طعام العشاء . وشربنا الشاي والقهوة ، ودار بيننا حديث في أخلاق الحجازيين والشاميين والنجديين . واتفقنا على أنه لا معصوم الا من عصم الله ، ثم بتنا ليلتنا في قطارنا ، وقد جالت في صدري هذه الابيات التي وجهت بها الى صديقنا الاستاذ عبد الحكيم الطرابلسي مدير مدرسة التوفيق وهي :

(فاتحة القول)

ديونك يا عبد الحكيم فأنصف ... وبادر الى توفير مال بها يفي
وان شئت أن تحيا عزيزا مكرّما ... فكن رجلا في كل حال وموقف

(دمعة حب ، ولوعة شوق)

أتذكر اذ ودعتكم ظهر (جمعة) ... وحبّيك يا هذا لقد كان متلفي
ونيران شوقي بَعد بُعدي وغربتي ... ثارت لهيبا في الحشا ليس ينطفي

(الدواء الناجع)

لئن كنت ياخلي.و(بهجة)مهجتي ... مشوقا كشوقي مع مزيد تلهف
فعندك من أصحابنا من يذيبه ... ولوشوقيعقوب الى شخص يوسف

(خاتمة القول)

سلام على أهلي وصحبي ومعهدٍ   على بعدهم عني يزيد تأسفي
سأذكرهم ذكرا حثيثا يهزني   سريعا الى ذاك المكان المشرف

يوم الأحد في ٩ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

صلينا فريضة الفجر مع الاخوان في القطار . ثم تجولنا في المحطة ورأينا فيها منشآت الحكومة ، وهي أرقى من كل ما سبقها ما عدا درعا ، ودور موظفي الحكومة مبنية كلها بالقرميد والحجر . فوق سفح الجبل ، بناء هندسيا ، وفيها نزل لطيف مشتمل على غرفتين للمنام ، وحجرتين للطعام . وفيها قطار معطل مع شاحناته . اشترينا منها بمائة قرش طعاما ، وبارحناها في الرابعة والدقيقة العشرين صباحا .

جرى القطار بنا — بعد عمّان بقليل — في نفق ببطن الجبل — نحو دقيقتين ، ومررنا على جسر القصر . ثم بلغنا (القصر) الساعة الخامسة والنصف . ثم (لُبّن) الساعة السادسة والربع ، ثم (الجيزة) الساعة السادسة والنصف وفيها آلة ميكانيكية لجر الماء . ثم (ضبعة) في الساعة الثامنة والدقيقة العشرين . وقد لقينا فيها شيخاً من عرب بني صخر واسمه الشيخ السطل ، وقدم لنا جرعة من اللبن ، ولم يقبل الثمن ، ودعانا لتناول الطعام عنده فشكرنا له ، وهو محافظ الخط هناك ، وأعراب بني صخر منتشرون من حدود عمّان . الى القطرانة ، وقد رأينا بعضهم في الطريق .

ثم (خان الزبيب) الساعة التاسعة . ومن عجيب ما رأينا في هذا المكان — في بركة ماء توضأنا منها — حيات ماء — بحجم سلك الكهرباء ، قد انتظمت في بطنها حبا تسوداء ، بمقدار العدسة . وتبلغ الحية طولا

أكثر من عشرة أذرع . ممتدة في الماء بشكل خطوط مستقيمة. ومنكسرة. ومنحنية . فسبحان الخلاق العظيم •

ثم (سواقة) الساعة العاشرة وعشر دقائق ؛ ثم محطة القطرانة الساعة الحادية عشرة وخمس دقائق ، وفيها آلة ميكانيكية لاخراج الماء وحمله الى الخزانات • وقد لقينا فيها الاستاذ فارس الذي كان معلم الانكليزية في (المدرسة الكاملية) ؛ وهو موظف في ادارة الحكومة . وسألني عن كتب نافعة له في الدروس العربية والادبية . فذكرت له ما حضرني ، وعرّفني بحضرة المهندس المقيم هناك خليل بك المقدسي فحصلت بيننا المعرفة والأنس ، وكتبت هناك مكتوبين أحدهما لالي . والثاني لاخينا الطرابلسي وسلمتهما لدائرة البريد . وبتنا في القطرانة ، وحملوا منها الاخشاب والحديد والرمل ؛ والبنزين لاصلاح السكة الحديدية في عدة مواضع •

يوم الاثنين في ١٠ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

تحرك بنا القطار الساعة الثالثة صباحا ، فبلغنا (منزلة) الساعة الرابعة ثم (فريفرة) الساعة الخامسة ثم (الحسا) الخربة الساعة السادسة ثم (جروف) الخربة الساعة الثامنة ثم (عنَزَة) الخربة الساعة التاسعة ثم (وادي الجردون) الساعة العاشرة وخمس دقائق ثم (معان) المغرب . وكان القطار يقف بنا في الطريق وقوفا طويلا . لاصلاح ما تعطل من السكة الحديدية . وقيده من قبل المهندس خليل بك الذي ركب معنا هو ومعاونه رمزي افندي التركي من أجله . واستقبلنا في معان الشيخ اسماعيل بك القزاز ، قائد الحملة هناك ـــ وهو رجل مكي الزي والاصل . يحسن اللغة التركية . ثم دعانا فتناولنا طعام المساء عنده . وبتنا ليلة الثلاثاء في القطار . بمحطة معان •

يوم الثلاثاء في ١١ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

تجولنا صباح الثلاثاء في قرية (معان) التي هي في غرب الخط على مسافة نصف ساعة منه . وهي منقسمة الى قسمين (جنوبي) يسمى (معان المصرية) وشمالي يسمى (معان الشامية) وبينهما مقدار ربع ساعة . وفي كل منهما مكتب بسيط ، وغالب بائعيها من أهل مكة المكرمة. وقد تناولنا الشاي في دار شاب نجيب من أهل (المدينة المنورة) واشتريت منها طعاما بأربع ليرات عثمانية ذهبا .

وقد قضينا يوم الثلاثاء في (معان) منتظرين جنود القزاز ، التي جهزها بما يلزم لتصحبنا الى (مدائن صالح) ثم الى (المدينة المنورة) وتناولنا الطعام مساء عند القزاز أيضا . فحياه الله ، ثم بتنا ليلة الاربعاء في قطارنا بمعان أيضا .

يوم الاربعاء في ١٢ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

جرى بنا القطار الساعة الثالثة من صباح الاربعاء . صحبة رفقائنا من دمشق ، وهم الشيخ شلاش العقيلي النجدي من قرية (بريدة) وقريبه الشاب عبد الله النجدي من قرية (الرّس) ، وهما رفيقا نجد ، والشيخ محمد أمين الربّو التاجر المدني ، وسليمان بن زيد وأصله نجدي من (قرية حائل) وهما يؤمان البلد الطيب ، وقد صحبنا جنود القزاز ، وهم ثمانية نفر ، ومعهم زاد السفر ، وقد تدججوا بالسلاح ، حماية لانفسهم ولنا من أعراب تلك البطاح ، ولم يتيسر لنا أن نجتاز سحابة ذلك النهار ، أكثر من ثلاث محطات ، تبلغ ٥٥ كم ، وهي من معان (٤٦٤) كم من الشام ، الى غدير الحاج (٤٨٠) كم الى بئر الشدية (٤٩٢) كم الى العقبة (٥١٩) كم ، وكلها مواقف خربة ، عطلتها مدافع الحرب ، وسبب هذا البطء احصاء جسور الخط العامرة

والخربة . وأخذ ارتفاعها . ومعرفة أبعادها . وكذا منشآت الحكومة . وبيان ما تخرب منها وما يلزم لاصلاحه . وصرنا نقف عند الجسور والامكنة الخربة وقوفا طويلا . وحضرة المهندس يفصل القول في مايكتبه تفصيلا . فأدركنا الغروب في (العقبة) وبتنا فيها ليلة الخميس في ١٣ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ وقد تعطلت بعض آلات القطار فأصلحها السائق صباح الخميس .

يوم الخميس في ١٣ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

سار بنا القطار الساعة الثانية صباحا . واجتزنا في هذا النهار أربع محطات مسافتها (٥٦) كم . وهـــي : وادي الرتم . وتل الشحم . والرملات . والمدوّرة . وقد بتنا ليلة الجمعة في المدورة . وكان سبب تأخرنا وبطئنا ملاحظة الامكنة المعطلة من جهة . ونقل الرمال عن السكة من جهة ثانية . وأول هذا الرمل الذي صادفناه في المدورة . وآخره بين وادي الشحم وبئر هرماس . على مسافة عشرة كيلومترات من كل منهما .

واقعتنا مع الاعراب من بني عطية

وما نبالي اذا أرواحنـــا سلمت بما فقدناه من مال ومن نشب

في الساعة السادسة والنصف (وقت الظهيرة) من هذا اليوم الخميس ١٣ جمادى الثانية ١٣٣٨ هـ نفرَ لنا بين تل الشحم والرملات (٥٥١ ــ ٥٦٠) كم . فئة قليلة من الاعراب راكبين فوق ظهور الاينانق والاباعر . حاملين البنادق على أكتافهم . والمسدسات والمدى بأيديهم . فوجهـــوا سلاحهم أولا نحو رئيس الحركة . وآذنوه بالقتل اذا هو لم يقف . فوقف قطارد مضطرا .

لم يكد يقف القطار عن الحركة حتى انقضوا علينا منحدرين كالسيل الجارف . والبرق الخاطف . وهم يقولون (وش علومكم . وش عندكم .

حتى ما نبغي غير الذهب) . فقال لهم بعضنا : نحن جماعة من الجنود والشيوخ نحمل المكاتيب من رؤساء العرب ، ومن سمو الامير فيصل . لنوصلها الى سمو الامير علي في المدينة المنورة . من أجل اصلاح الطريق وتمشية القطار . وحفظ حقوقكم وصركم . وان في ذهاب القطار بين المدينة المنورة ودمشق ــ حاملا للمسافرين آمنين مطمئنين فيه على أنفسهم وأموالهم ــ من الفوائد لكم ما لا يخفى عليكم • قال بعضهم هذا الكلام وباب القطار يحميه رجل منا . وباقي الجنود يتهيؤون بحمل بنادقهم وسائر سلاحهم للدفاع ؛ واذا ببعضهم يقول : افسحوا افتحوا لنرى من في القطار . وأنزلوا حارس الباب عنوة ؛ وأخذوا الشيخ شلاش النجدي الى مكان بعيد ، ودار بينه وبين بعضهم حديث ؛ وتسلق بعض عفاريتهم سطح القطار ؛ وكسر نوافذ الزجاج ودخل شاهر السلاح ، وكسر الآخر زجاج النافذة الشمالية ودخل . ثم هجم آخرون من الباب وبأيديهم المسدسات والمدى . فقال لهم أحد الجنود : يا بني عطية : ستندمون على هذا العمل . وستحرمون حقكم في المستقبل • ولكنهم أخذوا يسلبون بلا مبالاة ، ويختارون ما خف حمله ؛ وغلا ثمنه . بحال مخيفة مرعبة ؛ ووجوه وأزياء تقشعر منها الابدان ، وساعة رهيبة تشيب لهولها الولدان . ووجدوا معنا شيخا ضعيفا من عرب (عنزة) فقال بعضهم بصوت عال : (حامد) وقال الآخر : حامد بن عبدالله فقالوا : اقتلوه. فصوب بعضهم البندقية لقتله ، ومد الآخر المدية لذبحه . قلت (أنا) : يا قوم لا تقتلوه . قال لهم هو : يا قوم اني رجل مريض فدعوني لا تقتلوني . وليس لكم ثأر عندي . ثم سلبوه اثنين وأربعين جنيها ذهبا انكليزيا ، واربعة وتسعين مجيديا . وشبرية ، ومحزوم بارود وحق (ذهبة) مجيدي ٢ ونصف ، وثلاث عبي (٤٠ مجيدي)، وعقال عدد ١ ، وثوبين باليين •

وانبعث الي شقي منهم فسلبني أربعين جنيها عثمانيا ذهبا . وعددا من المجيديات . ونقودا صغيرة ، ولم يبقوا عندي شيئا من النقود لا فضة ولا ذهبا . وسلبوني عباءتي وعقالي وجبتي وقنبازي وجاكيتي وزناري . ولم يبقوا على بدني غير السروال والقميص والصدرية ؛ وأصابني من جراء ذلك برد شديد ؛ وألم في معدتي عظيم ؛ وعاود سلبي ثلاث مرات ؛ وأحدهم كان يهوي بالمدية علي يحاول بها قتلي ؛ ويقول لي أين الذهب ؟ يريد بذلك اخباره عن مقدار ذهبي وذهب غيري حتى يتم لهم أخذه بسهولة ؛ قلت لهم أنا ما معناه : هذه أول مرة حللنا فيها أرضكم يا بني عطية ؛ وكنا نظن أن ايقافكم للقطار بهذه السرعة . من أجل اكرامنا . وانزالنا ضيوفا عندكم كما هي عادة العرب الكرام . ولكنكم أوسعتمونا سلبا ونهبا . واهانة وسبًا ؛ فخيبتم رجاءنا فيكم ، وتركتمونا لا زاد ولا طعام ولا نقود ؛ وبيننا وبين الجهات التي نقصدها أيام . فأين الكرم والإباء والشمم . أهذه هي عادة العرب الكرام ؟ ألا وانكم ستندمون على ما فعلتم بنا . « وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون » ولكن أولئك السفهاء الجهال . كانوا من الذين يعبدون الدرهم والدينار . فلم يردوا لي غير الجبة والزنار !

ما سلبوه من رفاقنا في الرحلة

١ ــ الشيخ شلاش النجدي : مائة ليرة ذهبية ؛ فروة ثمينة؛ قنبازان. بندقية . محزم مملوء خراطيش ؛ شداد .

٢ ــ الشيخ محمد امين المدني : ثلاثمائة جنيه ورقا . وأمانات وغيرها بمقدار مائتي جنيه .

٣ ــ الشاب عبد الله النجدي : عباءة . قنباز . حذاء . ثوب جديد غير مخيط . عقالان ؛ ٣ قمصان . لباسان . وواحد وعشرون مجيديا .

٤ ــ سليمان النجدي من حائل : مسدس انكليزي : ٦ دلال قهوة

كبيرة نحاس . ستون مجيــديا ، خرطوش (عشرون مشطا) عبــاءة . عمامتان . ثوب . عقــال .

ما سلبوه من أصحابنا جنود اسماعيل بك القزاز

١ ــ عبد الله كلش الضابط المكي ٣ بدلات عسكرية ، قميصان من الخام ، صوف ٢ . عمامة روز ٢ ، حرام أسود ، ٣ سراويل ، ١٣ جنيها من الذهب الانكليزي ، نصف جنيه مصري . عقال ، حذاء (بيتون) جديد . جوارب زوج عدد ٢ (٣٢) مجيديا أمانة ، تنكة سمن أمانــة الجند . دخان عدد ٢

٢ ــ الوكيل بشير حسن المكي : ٦ جنيهات انكليزية ذهبا ، عباءة كبيسية ، عقال ، ٦ أثواب زرق ، ٥ عراقيات ، قمصان ، ٧ سراويل .

٣ ــ العريف حسن جنيني النابلسي : عباءة أميرية ، عقال ، كبود انكليزي ، سترة وبنطال ، ٣ جنيهات انكليزية .

٤ ــ الجندي اسكندر الكردي : ليرتان عثمانيتان ذهبــا ، كبود انكليزي ، بطانيتان ، كمر شامي ، كفية سوداء .

٥ ــ الجندي سليم الشامي : ٣ جنيهات انكليزية ذهبا ، ٦ مجيديات، عباءة انكليزية ، معطف (كبود) انكليزي ، بنطلون وسترة ، بطانية ، حطة ، عقال .

٦ ــ الجندي أحمد المغربي : كبود انكليزي ، عباءة عسكرية ، بطانيتان ، عراقيتان (قميصان) ، ثوبان أزرقان ، ٣ سراويــل ، حرام بلاس .

٧ ــ الجندي محمد نجم : ٧ قمصان ، ٤ سراويل ، ثوبان من الخام، ٣ حزامات مشكلة ، ٣ طاقيات ، حزام ، ١٩ مشطا خرطوشا ، كمر قطن ، كبود ، ليرة عثمانية ذهبا ، ٥ ليرات انكليزية ذهبا ، معطف وسروال ، (سترة وبنطلون) .

٨ ــ الجندي حسن الشامي : بدلة ، كبود ، بطانية .

٩ ــ داود ضابط الرهط الثالث : لحاف ، ٣ بطانيات ، كفيتان،حذاء (كندرة) ، ١٧ جنيها افرنجيا ، نصف جنيه ورقا ، بدلتان ، قامش ، تنكة سمن ، مشلح ، عقال ، ٤ سراويل ، ٤ ثياب •

١٠ ــ الجندي حسن كلتسلي بن سليمان : ٣ جنيهات انكليزية ذهبا ، كبود انكليزي ، مشلح ، ٣ أثواب •

١١ ــ الجندي حنفي علي عينتابي : عباءة ، مشلح ، بطانية ، جنيهان انكليزيان ، ٤ مجيديات •

١٢ ــ الجندي أمين علي الهندي : ٥ جنيهات انكليزية ، ثوب ، قميص ، أغراض أميرية ، خرطوش •

وتقدر خسائر حضرة المهندس وسائر الموظفين بمئة جنيه على الأقل ، عوض الله المصابين خيرا ، وعلى السالبين الظالمين من الله ما يستحقون •

وعميد هذه العصابة الظالمة (محمد بن دغيمان من السبوت) ، (وسليمان من جماعة حمود بن فرحان) كما أخبرنا بذلك خوينا حامد العنزي • ومن غريب أمر هذه الفئة الشقية أن سالب رفيقنا (شلاش) منها ، هو الذي للشيخ شلاش عليه اليد البيضاء ، فقد أخرجه من السجن مرتين •

وما أكثر نزول هؤلاء الارذال عند القزاز ضيوفا ، وجنود القزاز أصحابنا هم الذين يقدمون لهم الطعام ويقومون بخدمتهم ، وهم يعرفونهم فردا فردا ، ومن اصحابنا الجنود من أقام عندهم أولئك القرود مددا طوالا ، اشتغلوا عندهم بها رعاة وخداما •

فيالله من هؤلاء اللئام ، ما أفسد ودهم ، وما أنقض عهدهم ، وما أشد غدرهم وكيدهم ، ساق الله لهم من جنوده من يرغم أنوفهم ، ويخضع شياطينهم ، وما هو من الظالين ببعيد •

يوم الجمعة في ١٤ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

مشينا صباح الجمعة من المدوَّرة ٣ محطات ، وهي حارة العمارة، ذات الحج . بئر هرماس ، ومسافتها (٦٠) كم (٥٧٧ — ٦٣٧) وسبب هذا البطء شغلنا بازاحة الرمل عن طريق السكة ، وما أكثره ثمَّ .

يوم السبت في ١٥ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

توجهنا صباح السبت الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة عشرة من بئر هرماس ، فقطعنا بسرعة زائدة الحزم ، والمحطب، ووصلنا (تبوك) بسلام الساعة السادسة ، وابتاع لنا الشيخ شلاش منها عباءة ، واجتمعنا فيها بصديقنا الشيخ عبد القادر النوشاهرلي ، وهو مدير تلك الناحية ، وقدتناولنا طعام الغداء (رزا ولحما ويقطينا) في دار (جلِيوي) أحد أجواد (تبوك) وكان المدعوون أكثر من خمسين رجلا . ثم طفنا (تبوك) مع صديقنا (النوشاهرلي) فاذا شجرها النخيل ، ويقدر بنحو ثلاثة آلاف شجرة على أقل تقدير . وفيها قليل من شجر الدراق ، والليمون الحلو ، والعنب ، والتين . وأهلها أهل بادية ، ورأينا العين التي زادت ببركة النبي صلى الله عليه وسلم ، وشربنا من مائها العذب ، ونظرنا قلعتها التي بناها السلطان سليم ، وجددها السلطان محمد سنة ١٠٦٤ ، وهي قلعة مبنية بالحجر ، تبلغ مسافتها نحو أربعين ذراعا في اربعين طولا وعرضا ، وفيها حُجَر وغرف صغيرة مهجورة . وفيها مدفعان قديمان يقال انهما من زمن السلطان سليم ، وقد أصلحهما الترك أيام الحرب ، وأدينا في مسجدها صلاة الظهر مؤتمين بالإمام الشيخ عبد القادر ، أنا ورجلان آخران ورأينا فيها اثنين من جنود المدينة المنورة ، بعثهما على الفرار الشوق لأهلهما في سورية ، والقلة والجوع في الجندية شأن العشرات الفارين من ثَمَّ : المنقطعين على الطريق ،

حسبنا الله ونعم الوكيل . وشعرنا من (تبوك) بتغير الطقس ، وشدة الحر . وتوجهنا منها باسم الله قاصدين الحجر (مدائن صالح) الساعة الثامنة والنصف بعد الظهر ، فقطعنا باقي النهار (٦٠) كم من (٦٩٧ ــ ٧٥٧) وبلغنا (المستبقعة) الساعة الحادية عشرة والنصف مساء وهي من حدود بني عطية ، فان أول حدهم (القطرانة) وآخرها (المعظم) قبل (الحِجر) وقد أنشدنا ليلة الأحد في (المستبقعة) بقطارنا :

وليلٍ قضيناه بأرض عطية ... بقربٍ من الأعداء، قُبِّح من ليل
طوينا بذاك الحي ليلة خائف ... نهدَّد فيها بالثبور وبالويل
فلما بدا وجه الصباح جرى بنا الـ ... قطار بهاتيك الأباطح كالسيل

يوم الأحد في ١٦ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ الى ٢١ منها

تحرك بنا القطار الساعة الثانية عشرة والدقيقة الخامسة والأربعين من صباح الأحد ، ووصلنا (الاخضر) الساعة الثالثة ، وقرأنا على حجر هناك أن السلطان سليم جدد بناء (القلعة) في شوال سنة ٩٣٨ وهي في غرب (الاخضر) ووصلنا بحوله تعالى وحمده (المعظم) آخر حدود بني عطية الساعة الخامسة صباحا ، ودخلنا في حدود (عرب بِلي) وشيخهم (حمد بو شامة) فنسأل الله السلامة . وقد رأينا في هذه المحطة دوائر الحكومة ، فاذا بها خمس منها ، وفي كل دار عدة حُجَر ، وأرضها من المرمر ، ولم تنل منها يد التخريب والتدمير ما نالت من غيرها في سائر المحطات ، التي يقدر ما ضاع فيها بمئات الألوف من الجنيهات ، فاللهم ألهم المسلمين صبرا ، وعوضهم عن أموالهم خيرا .

الساعة الثانية الرهيبة

من لذعته حية مرة ... أصبح مذعورا من الحبل !

دخل الخوف القلوب ، واستولى الرعب على النفوس ، وصرنا نظن بتأثير الوهم الجبال جمالا ، والغزال غزوا ، والجنود من الهنود الفارين ، بعض اولئك الناهبين السالبين ، واليك مثالا مما اتفق لنا من ذلك :

لم نكد نتعدى المعظّم الى (خشم صنعا) مسافة (٢٦) كم (٨٣٢ ــ ٨٥٨) حتى جاءتنا الاخبار ، بأن الاعراب قد أناخوا على جانب السكة في (دار الحمراء) على مسافة (٢٧) كم منا ، فقلنا حسبنا الله ونعم الوكيل ، نعم المولى ونعم النصير •

فجرى بنا القطار سريعا ، وطفق ينهب المفاوز نهبا ، ولكنه لم يجز بضعة كيلومترات ، وبعض الجنود فوق سطح القطار ، لينظروا من ينحدر الينا من قمم الجبال ، أو يظهر لنا من وراء الآكام والرمال ، أو يخرج من بطون الاودية والاوكار ، حتى أرسل المهندس الى الشيخ شلاش يقول : نرى عن بعد رجالا قريبين من السكة ، ونرى آثار أقدام مواشيهم ، فهل نوقف القطار ، أو نستمر على تسييره ؟ فأجابه الشيخ شلاش بأنا لا نؤخذ ثانية على غرة ، كما جرى لنا في تلك المرة ، فالأولى أن نوقف القطار ونخيفهم بعَددنا وعُددنا ، فخرج الجنود شاكي السلاح ، وصعدوا سطح القطار مستعدين للكفاح ، وطفقوا ينشدون السراب البعيد ، وينادون العدو الذي لا يسمع ولا يجيب ، وقد كثر الضجيج والنداء ، وطبقوا به أرجاء الفضاء ، حتى ظننا أنا توسطنا جمعا من الاعداء ، ثم مشى بنا القطار على هذه الحال ، من الرجيف والوجيف ، واللغط والصريخ ، حتى بلغنا دار الحمراء ، وحمدنا الله تعالى على السلامة •

وأقبل علينا هناك بدوي يرعى إبل عرب عنزة ، فطفق قومنا يسألونه عن مواطن العرب ، وهل هم في بعد عنا أو قرب ، وقد عرفه خوينا حامد

ابن عبد الله ، وبعد العناق والتقبيل ، أخبره خوينا الخبر ، وقص عليه القصص • ثم أرسل لنا الشيخ شلاش يقول : هنا نلقي عصا التسيار ، وننزل نحن ومتاعنا من القطار ، فنزلنا وأنا ثالث الرفيقين (شلاش وقريبه عبد الله) في هاتيك الأرض المترامية الأطراف القفراء ، وودعنا الجنود وسائر الاخوان بالبكاء ، وكل منا يدعو لصاحبه بالسلامة ، وجرى القطار بهم قاصدا المدينة المنورة ، واستأجر الشيخ شلاش من راعي الإبل جملا لحمل أثقالنا الى حضرة الشيخ سلطان الفقير العربي السنحي ، شيخ عرب (عنزة) الذي هو على مسافة ثلاث ساعات من دار الحمراء ، من جهة الشرق الشمالي ، ودفع له أجرة جمله ليرة ذهبا ، وزاده مجيديين اكراما له ، فطابت نفسه ، وتهلل وجهه ، وسقانا من حليب ناقته ، ومشى الجمل أمامنا وجرينا نحن وراءه في جبال منفصلة بعضها عن بعض ، على أشكال مختلفة ، وهي ناصبة ماثلة مختلفة الحجوم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين ، ولكن حصباء تلك الارض نقية جدا ، وكأنها الدر ، بين أبيض وأحمر ، وأسود وأخضر ، وأرضها كلها ذات رمال ، بين هاتيك الجبال • ولم نزل نجد في سيرنا حتى بلغنا منزل الشيخ بعد الغروب ، ومعنا رفيقنا حامد العنزي ، فاستقبلنا الشيخ بالمصافحة ، وللشيخ شلاش بالتقبيل والمعانقة ، وسلامهم لطيف بسيط مشتمل على العناق والتقبيل ، وينادي بعضهم بعضا بالاسماء مجردة عن الكنى والالقاب ، وقد سلم أحد صبيانهم على حامد الشيخ الذي يناهز السبعين ، بقوله : كيف أنت يا حامد ، عساك طيب يا حامد • وفي نحو الساعة الثالثة ليلا قدم لنا الشيخ الطعام من الرز واللحم ، والطعام كان كثيرا جدا ، وقد أكل منه من لا أحصيهم عدا ، فحيا الله الكرم العربي •

وهذه القبيلة دينة ، وقد أدينا مع كثير منهم صلاة العشاء ، وشيخهم سلطان الذي هو عميدهم يخاف من الله عز وجل ، ويحب أهل

العلم والفضل ، وقد سرّ مني كثيرا ، والتمسوا مني أن أكون عندهم خطيبا . على أن يقدم لي كل ما يلزم . ويعاملوني كما يعامل أهل العلم . ويزوجوني بنتاً من كرائم بناتهم . فشكرت فضلهم وشهامتهم . واعتذرت لهم بأني خطيب ومدرس في الشام . وبأن خطيبتي هناك قريبتي . وأقمنا عند الشيخ وفي ضيافته خمسة أيام ، مشمولين بالخير والإنعام . وسررنا هناك بلقاء الشيخ حمد رميح التاجر النجدي ، وكنا نكثر من التردد الى خيمته . وكان يحبني ويكرم وفادتي كل مرة ، وأكثرت هناك من الوعظ والارشاد . والدعوة الى الاتحاد ؛ ونزع الضغائن والاحقاد ، وأبنت لهم سوء نيات الاجانب نحو المسلمين عامة ، والعرب خاصة ، فتحمسوا ودعوا بالنصر والفتح المبين ؛ للاسلام والمسلمين .

(سلمنا الشيخ حمد رميح مكتوبا ليوصله الى أهلنا في الشام ، وتركنا عند الشيخ سلطان صندوق الثياب ليبقى عنده أمانة الى رجوعنا فنستلمه ان شاء الله) .

يوم الجمعة في ٢٢ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

وفي صباح هذا اليوم ودعنا الشيخ سلطان ، ومعنا (خويّان) متجهين جهة الشرق ، على ظهور الإبل ، وعند الغروب وصلنا أرض أخيه متعب شيخ (الإخوان) الذين لا يشربون الدخان ، وتناولنا طعام المساء عند الشيخ التيهي ، وقد تبادلنا البحث معه في مسائل الإسلام والإيمان ، وكيفية دعوة النبي عليه الصلاة والسلام ، وحكم استعمال الدخان ، والهجرة من أرض الكفر الى أرض الإيمان ، وامتدت المذاكرة بيننا الى الساعة الثامنة ليلا ، وقد تفاهمنا في كل هذه الأبحاث ، والشيخ متعب كان اذا رأى أن الصواب في جانبي يرجع اليه ؛ وقد ودعناهم صباح (السبت في ٢٣ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ) .

الساعة الثالثة المشؤومة

وصـرت اذا أصابتني سهـام   تكسرت النصال على النصال

ركبنا صباح هذا اليوم وأخذنا في السير جهة الشرق ، وبعد الظهر هبطنا واديا وجلسنا فيه حصة لطيفة للراحة ، ولم نكد نركب الإبل حتى انقض علينا من سفح الجبل ستة من العبيد السود ، راكبين الخيل ، •زنرين بأمشاط الخرطوش وعلى أكتافهم البنادق ، فلما دنوا منا حملوا البنادق بأيديهم ، وفي أثناء ذاك الطراد واللحاق انبعث أشقاهم الي ، ووجّه بندقيته نحوي ، محاولا قتلي ، فنزلت بسرعة عن جملي ؛ ثم جالوا جولة حولنا ، وأخذوا بأطرافنا محاولين سلبنا ، ووقع بصر رفيقنا شلاش على عميدهم ، فقال له رفيقنا : أجئتم لأخذنا أم لدعوتنا وان غدانا اليوم عند عمك (هايس الهزّاع) فالتفت ذاك الى جماعته وقال لهم : (عرّف يا عيال) ثم استلم بعضهم بعضا عناقا وتقبيلا ، وجلسوا حلقة مستديرة (يتناشدون العلوم) وجلست أنا في ناحية منفردا ، ثم ركبوا وركبنا ، وشرقوا وغربنا ، واجتمعنا هناك برجل يقال له (صالح) من عرب (هتيم) قد شهد الحالة ، فهنأني وقال لي : كل صدفة بسلامة يا خطيب ، فقلت في نفسي : لا أكثر الله من أمثال هذه الصدف ، وقـال آخر : لولا المعرفة لأخذنا ، وقال آخر : الحمد لله على نجاتك منهم ، وقد وقاك الله شرهم ، فقلت له : ولماذا قصدوني قصدا خاصا ، وماذا كانوا يريدون أن يفعلوا بي ، فقال : انهم كانوا يحاولون قتلك ، أو لم تنظر كيف مدّ كبيرهم البندقية عليك ، فقلت : يا سبحان الله ولماذا ؟ أكان لهم ثأر عندي ، أم لكوني بزي أهل العلم الذي أشرتم علي بـه وهم يأبونه ، أم ماذا ؟ فقال بعضهم : ظنوك بعصابتك البيضاء أحـد المتدينة ، وأولئك يستجيزون سفك دماء هؤلاء ، وهؤلاء يثـأرون لأنفسهم منهم ، فقلت لهم : ألم تشيروا علي أنتم بوضع العمامة بعد نزعها وتقولوا إنا قد بلغنا أرض المتدينة ؟ اللهم اني حرت في أمر المتدينـة

وختومهم ، ووضع العمامة ونزعها ، واللهم اني أبرأ اليك من استحلال سفك الدماء ، بمجرد اختلاف الازياء .. وقال آخر : انهم ظنوك تاجرا بزي أهل العلم ، فقادهم الى ما حماك الله تعالى منه طمعهم في المال ، قلت : ولكنهم لم يجدوا مني أدنى صعوبة ولا مقاومة فكان حسبهم أن يسلبوني مالي . ويطلقوا سبيلي . قالوا : ان وفرة المال ، تغريهم بقتل الرجال ، حتى يطمس الأثر ، وينعدم الخبر ! قلت الحمد لله الذي لم أكن موضع ظنهم . ولا هدف سهمهم ، وهو اللطيف الخبير ، وقد كفانا بنو عطية شر المال ولم يبقوا معنا درهما ولا دينارا ، وكان أصابني تورّم في رجلي من المشي ووجع أليم من الركوب ، وأضيف الى ذلك هذه الخطوب ، مع تغير الطعام والشراب والمنام والاصحاب والمركوب ، فعظم الامر علي ، وجالت الدموع في عيني ، وأخذتني من الغربة الوحشة ، ومن هذه الصدف الدهشة ، ونزلنا بعد ساعة عند خوينا الجديد (صالح) من (هتيم) فاستلقيت على الطراحة ، وجلس العرب حولنا وهم يسلمون ويتكلمون ، وأنا غير شاعر بما يقولون .

يوم الاحد في ٢٤ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ الى ٢٦ منها

وفي صباح هذا اليوم ركبنا (مع خوينا صالح) ومعه خوي عنزي اسمه (سليم) واختار السفر الى نجد (خوينا العنزي سلطان) سَمِيِ شيخهم سلطان الفقير ، وفي مساء اليوم وصلنا أرض الشيخ (سعد) ابن عم الشيخ سلطان ، وبقينا في ضيافته ثلاثة أيام ، ووجدنا قومه يقيمون الصلاة ، ويسألون عن أحكام الزكاة كجماعة الشيخ سلطان ، وهم يسألون عن حكم استعمال الدخان ، ويذكرون تحريم المتدينة له ، واحراقهم لشاربيه ، وكانت دارت مذاكرة بيني وبين بعض محرميه من المتدينة المعتدلين الذين لا يشربونه ولا يؤذون على شربه أحدا ،

ويعبدون الله لايشركون به شيئا . فذكر لي من دلائل تحريمه عنده كونه : من الإسراف ، ومسكرا من الخبائث ، فذكرت له جواب مبيحيه : وهو أن الإسراف أمر نسبي غير محدد في الشريعة وان ما يكون اسرافا في حق انسان ، يعد تقتيرا بالنسبة الى آخر ، فمن تحقق فيه معنى الإسراف بسبب شرب الدخان فذاك يحرم عليه .

وأما قياسه على الخمر في الإسكار فذاك قياس مع الفارق ؛ والله تعالى يقول في الخمر « انما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ، ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » ، والدخان لم يتحقق فيه وصف من هذه الأوصاف ، فهو لم يوقع بين شاربيه ولا غيرهم العداوة والبغضاء ولم يصد شاربيه عن ذكر الله ولا عن الصلاة ، بل في شاربيه العلماء والصالحون ؛ والقول بتحريمه قد أوقع بين المسلمين من العداوة والبغضاء أكثر من شربه ، وأما كونه من الخبائث فهذا غير متفق عليه ، وشاربوه لا يعدونه كذلك ؛ على أنه لو ثبت خبثه فما كل خبيث محرم ، وقد ورد أن البصل والثوم شجرتان خبيثتان ، ولم يقل بتحريمهما أحد ؛ فتبين أن الخبائث المحرمة هي المنصوص عليها في مثل قوله تعالى : « حرمت عليكم الميتة والدم » الآية . قلت له : ولو سلمنا جدلا أن الدخان محرم كالخمر لكان لك في تحريم الخمر في كتاب الله عز وجل ما يدعو الى حسن الأسوة ، والخمر قد ورد النهي عن شربه تدريجا ، فنهي الناس عنه أولا اذا أرادوا الصلاة ، قال تعالى : « يا أيها الذين آمنوا لا تقربوا الصلاة وأنتم سكارى حتى تعلموا ما تقولون » ثم جاء التذكير بمضاره في قوله : « إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون » ؟ ثم جاء التحريم القطعي لشربه بعد أن سهل عليهم تركه في قوله تعالى : « إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم

تفلحون » ، فانتهى الناس عن شربه وكسروا الدنان التي كانوا يعتّقونه بها ، فأنت ترى ان الخمر الذي اشتد ضرره ، وخبث أثره ، قد حرمه الله تعالى ، على يد النبي عليه الصلاة والسلام ، تحريما تدريجيا ، بآيات في القرآن ، جارية على سنته تعالى في تكميل الانسان ، بتصحيح عقائده ، واصلاح أعماله • فلو أنكم جريتم على هذه السنّة ، ودعوتم الى سبيل ربكم بالحكمة والموعظة الحسنة ، لأطفئت بينكم وبين خصومكم هذه الفتنة ، وأسبغ الله عليكم النعمة ، نعمة التأليف المذكورة في قوله تعالى : « واذكروا نعمة الله عليكم إذ كنتم أعداء ، فألف بين قلوبكم فأصبحتم بنعمته اخوانا » فتقبّلَ هذه النصيحة بقبول حسن ، وقال انها والحق يقال : غالية الثمن ، قلت : ثمنها العمل بها ، وسترى ان شاء الله حسن أثرها ، وتتلذذ باقتطاف ثمرها ان شاء الله تعالى •

ثم قلت : وعندي أن الرأي المناسب بترك الدخان ، هو أن تتفق مع الآباء على منع أولادهم من شربه ، ومنعهم اياهم من مخالطة شاربيه ، فان شرب الدخان ليس ضروريا ولا فطريا للانسان ، وشاربوه يدركون ضرره في أجسامهم وعقولهم وأموالهم أكثر من غيرهم ، ولكن العادة هي التي سهلت شربهم له ، وتمكنت من نفوسهم بطول الزمن • أما أولادهم فليسوا كذلك فلو لوحظوا من قبل المرشدين ، والخطباء ، والآباء ، وذكر لهم ما في التدخين من الضرر والكراهية شرعا وطبعا ، لأصبح أولئك الاطفال يكرهونه أشد الكراهية ، وينهون عن شربه ، ويدعون الى تركه ، وبذلك يبطل شربه أو يخف جدا ، ويقل عدد الشاربين له ، ويكون لكم بذلك ان شاء الله الأجر العظيم ، فأبدى شكره وارتياحه لما قلت ، ووعدني بالعمل ، وفقه الله وإيانا ، لما يحبه ويرضاه •

يوم الاربعاء في ٢٧ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

ثم استأنفنا السير صباح هذا اليوم على بركة الله عز وجل وحسن تيسيره ، فأدركنا المساء عند بعض العرب ولم نصادف بحمد الله شيئا .

يوم الخميس في ٢٨ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ هـ

الساعة الرابعة المشؤومة

ثم استأنفنا السير صباح هذا اليوم ، وفي وقت الظهر ، أطلق علينا بعض الاعراب الرصاص من وراء جبل ، فانطلق (خوينا صالح الهتيمي) نحوهم يلوّح لهم بطرف عباءته ويصفر لهم (اشارة الى أنهم أصحاب) ثم أطلقوا علينا الرصاص المرة الثانية والثالثة ، واشتد الامر ، وخشينا الضرر ، فانطلق (خوينا سلطان العنزي) بناقته حتى وصل قريبا من صخرة كبيرة ، فأناخ عندها ، وحمل بندقيته ، ووجهها عليهم يحاول رميهم ، فنهيناه ، وناداه بعض أصحابنا أن لا يفعل ، ثم جاء (خوينا الهتيمي) بعد مذاكرة معهم ، وقد نجانا الله تعالى منهم .

خلاصة أحوالنا من ١٦ جمادى الثانية عام ١٣٣٨ الى ٣ رجب الفرد ١٣٣٨

طعامنا : إما أرز وفوقه لحم مطبوخ على أصول البدو ، أو أرز وحده والسمن المزيج باللبن يضعونه بإناء فوق الدست الكبير ، ثم يستديرون حول الدست ويجلسون في الغالب القرفصاء . وتمتد الايدي العامرة المشمرة الى المرافق الى الأرز ، ويأخذون منه ملء الكف والاصابع ، ثم يرصونه رصا محكما حتى يصير كالقنابل اليدوية : ثم يمدون الاصابع التي تحمل الارز الى وعاء السمن فيغمسونه بها ، ثم يخرجونه ويأكلونه هنيئا . ويشربون بعد الطعام حليب النوق بوعاء

كبير مريئا . وكنت حملت معي ملعقة من الشام . فأضاعها أحد رفقائنا في الطريق أيام ركوبنا في القطار . فأهداني الشيخ سلطان الفقير شيخ عنزة ملعقة من نحاس ، وأخرى لآكل باحداهما ، فإذا ضاعت أكلت بالثانية ، وأهديته بيت أقلام وفيه أقلام (مراسم) . وورقا وظروفا . ثم أضاع احدى الملعقتين رفيقنا ، ومنعني الاكل بالثانية ، وقال: لا يجوز أن تأكل بالملعقة بعد اليوم ، حتى نرجع من نجد ، قلت : ولماذا ؟ قال : أما العرب من أهل البادية فيظنون أنك جاسوس من قبل الانكليز ، فضحكت كثيرا ، وقلت له : الأكل بالملاعق وغيرها عادة آكثر أهل الحضر، وليست من خصائص الانكليز و لاغيرهم من أمم الغرب ، وللجاسوس علائم وأمارات يعرف بها غير الاكل بالملعقة ، فأي ارتباط ومناسبة بين الاكل بالملعقة وهذه التهمة ؟ قال : هم لا يفهمون غير هذا ؟ قلت له : فهمنا حال البداوة ، فما بال الحضريين ينكرون ؟ قال : أولئك يعدُّون الأكل بغير الكف والأصابع بدعة ، قلت : البدعة المذمومة في الشرع ، هي التي تحل محل السنة وتبطلها ، والسنن ما كانت من جنس المفروضات والواجبات ، كما ترى في سنن الوضوء والصلاة والصيام مثلا ، وما يظهر فيه معنى الذكر والعبادة ويتقرب به الى الله عز وجل ، أما وسائل الطعام والشراب ، فليست من هذا الباب ، وهي تختلف باختلاف البلاد والعباد ، ألا ترى أن النبي عليه الصلاة والسلام كان يأكل مما يليه ، وفي هذا من الادب ما لا يخفى ، ولو كانت الملاعق في بلاده عليه الصلاة والسلام ونهى عن الاكل بها ، وآثر الاكل باليد عليها لتم لهم ما يريدون ، ولكن كل ذلك لم يكن ، والمعقول أنها لو كانت في بلد النبي صلى الله عليه وسلم لاستعملها ، لانها أقرب الى آداب الطعام التي كان يرمي اليها ، والى النظافة التي كان يحث عليها .

عود الى وصف الطعام والمنام والركوب

قلنا ان طعامنا في مدة ثمانية عشر يوما إما أرز مع اللحم ، أو

الأرز وحده ، أو التمر ، أو حليب النوق وحده . والتمر وحده هو زادنا حيث لم نجد العرب ، وحليب النوق هو الذي نصطبح به عندهم ثم نبقى عليه الى المساء أحيانا ، أما الخبز فلا أثر له هناك ، وأما الشراب فهو من ماء رملي وسخ جدا ، وهو الذي كانوا يطبخون به الطعام ، فيقع الرمل فيه تحت أسناننا وأضراسنا ، ولو كنا في الشام ، لأصابنا منه مرض عظيم ، ولكن المولى لطيف خبير • وقد كنا نتيمم كل هذه المدة لعدم تيسر الماء ونصلي جماعة على التراب ، وكنت أقصر الصلاة دائما ، وأجمع جمع تقديم وتأخير عند الضرورة ، وأما المركوب فظهور الإبل التي تحمل أثقالنا الى بلد لم نكن بالغيه الا بشق الانفس : وقد اعتدنا ركوبها وسهل علينا بالتمرن والعادة ، وصرنا نجد الراحة في ذلك بعد الآلام التي قاسيناها ، فالحمد لله رب العالمين •

وقد ظللنا نركب الإبل خمسة عشر يوما : تسعة أيام من عند الشيخ سلطان الفقير الى قرية الحائط ، وستة أيام من قرية الحائط الى المدينة المنورة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام كما سيأتي بيانه •

وأما النوم فعلى الارض تحت الخيام أو تحت السماء : والعرب ليس عندها للضيف الا الطعام والقهوة ، وينام الانسان والى جانبه الجمال التي تأكل طول الليل ، وكذا الغنم والماعز والكلاب التي تنبح فيظن النائم أن العدو يحاول قتل الرجال ، وسلب الاموال : والاهواء العاصفة التي تخفق طول الليل فتصم الآذان ، ويرحم الله القائلة :

لبيت تخفق الأرواح فيه ... أحب الي من قصر منيف

ما أعجب حكمها ، ولكني أعود فأقول : لا عجب في حكمها لأنها لم تحكم حكما عاما ، على أن البداوة خير من الحضر ، ولكنها قالت (أحب الي) وهي معذورة في ذلك لأنها بدوية الأصل والمنشأ ، والعادة حببت اليها ذلك ، كما أني أوثر الحضر ، لان التربية الحضرية مالت بي

اليه . وكم من أهل الحضر من مدح حال البداوة وأثنى عليها، وبالعكس، والحق أن في كلٍّ مزايا وخواص لا تنكر . وليس هنا موضع تفصيلها .

ثم ان البرد هناك شديد جدا ، والعرب تقول : منع البَرْدُ البَرْدَ (أي منعت البرودة النوم) وكان حالنا كما قال الشاعر : (ما أذوق المنام إلا غرارا) . ولكن من رحمة الله بي أنــه كان معي الحرام والمخــدة والطراحة التي كنت أجد بها عظيم النعمة والراحة ، ولولا الثياب التي بقيت عندي بعد السلب ، وأدوات النوم التي رأوها وسلمها المولى منهم، لكنت في أسوأ حال ، فالحمد لله الخبير المتعال .

وأما الحوادث والنوادر والفظائع أثناء الطريق ، ففي الوقائع التي حدثت لأهل البداوة في غزو بعضهم لبعض وهم يقولون : هنا ذُبح فلان ، وهناك قتل فلان . وهنالك أخذ حلال فلان ، ولم أسمع في طول تلك الأيام الا الحوادث الفظيعة وما أشبههــا ، والا الأناشيد التــي لا أفهمها ، ولم أتكلم مدة سفري معهم الا بمقدار ما تلجئني اليــه الضرورة ، وفي كل يوم كان يشتد بنا الخطر ، ويزداد ضيق الصدر ، ولا ندري متى يوافينا الأجل ؟ ولا كيف يكون القتل ، وكل يوم كنت أتلو فيه قوله تعالى : « وما تدري نفس ماذا تكسب غدا وما تدري نفس بأي أرض تموت » .

وما زلت على هذه الحال ، وأنا صابر ثابت صامت ، حتى بلغنــا (قرية الحائط) يوم الثلاثاء في ٤ رجب الفرد عام ١٣٣٨ .

نبذة من أخبار المتدينة

لم يتفق لنا أن نزلنا عند عرب في مدة ثمانية عشر يوما : (من ١٦ جمادى الثانية الى ٣ رجب) إلا وقصوا علينا نبذة من أخبار المتدينة ، حتى وصلنا قرية (الحائط) وهي في شمال المدينة المنورة على مسافــة

أربع مراحل منها ، وهنالك مجمع أخبارهم ، ومشهد آثارهم ، وخلاصة ما اتصل بنا من أمرهم أن بعض وعاظ نجد ومرشديهم انبثوا في بعض القبائل والعشائر الحجازية ، وطفقوا يدعونهم الى الله ويعلمونهم أحكام الصلاة والزكاة وينهونهم عن الغزو وأكل الحرام ، فاستجاب لهم بعض القبائل كبني سالم ، وكالشيخ متعب (والشيخ من عنزة) مع طائفة من قومهما فحسنت حالهم ، وصاروا يقيمون الصلاة ، ويؤتون الزكاة ، وتركوا الغزو والسلب ، وجلبوا كتبا في التوحيد والفقه من نجد يتعلمون بها أحكام دينهم ، ثم تبعهم بعض العشائر (كمطَيْر ، وعتَيْبَة وحرب وغيرهم) فباعوا إبلهم وغنمهم ومعزهم ، وبنوا القرى من أجل أن يتحضروا ويتفرغوا لعبادة ربهم ، وقالوا ان في اقتناء الوبر مشغلة عن طاعة الله عز وجل ، ثم اشتدت حاجتهم اليها لعدم وجود ما يغنيهم عنها ، وقد كانوا من قبل مولعين بالغزو ، وأشربوا في قلوبهم حب الأكل منه ، فراحوا يغزون تحت اسم (الإسلام) وسموا أنفسهم (المتدينة) (والإخوان) ، وهم يعطون عميدهم من الغنائم الخمس ، وهو يحمي ظهرهم ، ويشد أزرهم ، ويقسم الغنائم بينهم ، ويبني لهم القرى ، ويعمر لهم فيها المساجد ، وقد سمعت أن قراهم الآن قد بلغت الخمسين ، وأنهم صاروا يقاربون أعداد خصومهم ، وقد انتشروا ألوفا مؤلفة بين نجد والحجاز ، ويمتازون من خصومهم بقوة البأس ، وشدة المراس ، والقلوب القوية التي لا يجد الخوف اليها سبيلا ، وهم ينقضون على خصومهم بسيوفهم اللامعة ، كالرعد القاصف ، والبرق الخاطف ، والسيل الجارف ، واذا غدوا من أهلهم قالوا لهم : سلوا الله لنا الشهادة . فيفعلون ،

وهم يضربون الرقاب ويتمسحون بدماء القتلى زيادة في اغتنام الاجر والثواب ! !

وهم طوائف مؤلفة من أكثر العشائر البدوية الجهال ، ما كانوا

يدرون ما الكتاب ولا الإيمان ، وهم قد قرروا الجهاد ، حتى يفنوا عن آخرهم أو يفنوا خصومهم ، ويرثوا أرضهم وديارهم وأموالهم ؛ وقد اتسعت دائرة نزالهم . وامتدت ساحة قتالهم . حتى بلغت أطراف المدينة المنورة حماها الله تعالى وصانها فهم يهاجمون العرب في تلك الجهات ، ويرجعون منها بالغنائم ، وهم يجدُّون في هذه السبيل ، ولا يرجعون من حرب الا بين قاتل وقتيل .

(نعود الى ما كنا فيه) قلنا : إنا بلغنا قرية الحائط يوم الثلاثاء في ٤ رجب الحرام عام ١٣٣٨ ؛ دخلناها وتناولنا طعام الغداء عند حاكمها الشريف عبد المطلب بن غالب ، وطعام العشاء عند الشيخ خلف بن جابر أحد شيوخها ، وأشار علينا جميع من اجتمعنا بهم بأن لا نتجاوزها الى نجد ، وأن لا نخطو قدما واحدة من بعد ، وقالوا ان الخطر على حياتي (بالمائة تسعون) وقال رفيقنا الشيخ شلاش : أنا لا آمن عليك من شر المتدينة ، وأنا لست كهيئتك ، أنا نجدي ، وأنت من أهل الشمال ، وهم يكفرونهم ويكفرون حكامهم ، ويستحلون دماءهم وأموالهم ، ويتقربون بقتلهم الى الله ، وأنا أؤدي الأمانة بتمامها ، وآتيك بجوابها ، فقبلنا النصيحة ، وآثرنا ذلك على أن نقتل شر قتلة ، بتلك الأيدي الجائرة الأثيمة ، وكتبنا كتابا نعتذر به عن عدم الوصول وفي ضمنه الأمانة والمذكرات ، ولم نترك شيئاً مهمًا الا ذكرناه ، وعسى أن يكون الجواب ان شاء الله وافيا بالمقصود ، شافيا لما في الصدور ، ثم ودعنا الأخ شلاش ورفيقنا الشاب النشيط عبد الله صباح يوم الأربعاء بالدموع ، سهّل المولى عليهما ، وأنجح مقاصدهما آمين .

قرية الحائط

قرية الحائط واقعة في شمال المدينة المنورة على أربع مراحل منها ، وهي ذات نخيل كثير وفيها عيون عذبة ، وأهلها قوم كرام ، وهم فيما

بينهم على اتفاق تام ، وقد كانت هذه القرية في الأصل لعرب عنزة . ثم امتلكها منهم ابن الرشيد . بعد حرب ظفر فيها . وعامل أهل الحائط على نخيلها ، على أن يكون ثمره بينه وبينهم مناصفة . ثم استقلوا بأنفسهم ، فحاربهم منذ سنين وحاول استردادها منهم فلم يفلح . وفي أول الثورة العربية طلبوا شريفا ليكون حاكما عليهم فأرسل اليهم ، وجلالة ملك الحجاز يأخذ منهم زكاة الثمار العشر فقط ، ولا تزال تتجاذبها أنظار الطامعين ، من ابن الرشيد والمتدينين ، وهم لا يرغبون غير حكم الشريف ، ومستعدون لقتال من يبغي عليهم .

قضيت في هذه القرية ثمانية أيام ، وكنت ضيف شريفها الشاب الأديب عبد المطلب ، ورفيقه المهذب النجيب الشريف حميِّد ، وكنت أنام عند خطيبها الصالح البركة الشيخ مبروك النجدي ، ونقرأ معه بعد العشاء وبعد صلاة الفجر وأثناء النهار أيضا ، دروسا في الحديث والفرائض والنحو والصرف ، وقد ألقيت يوم الجمعة بعد أداء الفريضة في جامعها درسا عاما ، فسَّرت فيه قوله تعالى : « واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا » ... الى قوله تعالى : « والى الله ترجع الأمور » فظهر الخشوع ، وسالت الدموع ، واستلموا بعد الدروس يديَّ مصافحة ولثماً .

من يوم الثلاثاء ٤ رجب الى يوم الثلاثاء في ١١ رجب عام ١٣٣٨ هـ

بذلت المجهود ، وأرخصت النفس والنفيس في سبيل الوصول الى نجد ، والرجوع عن طريق المدينة المنورة ، فحالت الأقدار بيني وبين نجد ، وتيسر لي السفر الى المدينة تيسُّرا عجيبا ، فصدق فينا المثل : « أردت عمراً وأراد الله خارجة » ، اذ أردنا نجداً وأراد الله الحجاز ، واليك البيان :

لما اضطررت للبقاء في قرية الحائط منتظرا رفيقي الاخ شلاش اشتد شوقي لشد الرحل الى المسجد النبوي . والحظوة بشرف الزيارة المباركة ، وأداء الصلاة في تلك الروضة المطهرة بين البيت والمنبر التي هي من رياض الجنة ، وكنت كلما تذكرت أن صلاة في مسجده عليه الصلاة والسلام أفضل من ألف في غيره إلا المسجد الحرام ، هزني الشوق وازدادت عوامل الرغبة .

وكنت أسأل الله أن ييسر لي سبيل الوصول والزيارة ، ولم آكد ألبث هنالك أياما حتى عرض لشيوخ (الحائط) الكرام السفر الى مدينة النبي عليه الصلاة والسلام ، وهم : الشيخ الجليل مقبل ، والشيخ خلف بن جابر ، والشيخ علي بن سليمان ، وحضرة الخطيب الشيخ مبروك ، ومعهم نحو خمسة عشر رجلا ، فعقدت النية على السفر معهم ، وارتاحوا هم لذلك جداً ، وكتبت للأمير علي ولي عهد الملك وحاكم المدينة المنورة ، على لسان الشريف عبدالمطلب كتابا ذكرت له فيه الغرض الذي من أجله قدم شيوخ الحائط على سموه ، وكتبت على لسان الشريف عبد المطلب أيضا بأن ضيفنا (محمد بهجة) أحب التشرف بلقائكم مع الوفد .

ركبنا الإبل يوم الثلاثاء ١١ رجب ، وقضينا في مسيرنا ستة أيام ، وفي صباح الأحد ١٦ رجب بلغنا مدينة الرسول عليه وعلى آله وصحبه أفضل الصلاة والسلام ، وكانت قد جالت في خاطري هذه الأبيات :

قصيدتي النبوية

لمسجدك المحبوب يا خير ساكنٍ
بطيبة إنا قد طوينا المراحلا
صلاة به عُدَّت كألف بغيره
وفي زروة المختار نلنا الفضائلا

ألا يارسـول الله قـد جئتنـا بمـا
بإسعـاد كـل الناس قـد كان كافـلا
فعلّمـت أميـا ، وأرشـدت حـائرا
وأيقظـت مغـروراً وأدبـت جـاهـلا
فصـلى عليـك الله يا سيـد الـورى
لخـير بني الإنسـان قـد جئت حاملا

* * *

وذاك كتـاب الله مـا زال بيننـا
يؤيـد حقـا ، ثـم يزهـق باطـلا
أفاض عـلى الغبراء شمسـا فأشـرقت
عـلى كل مفضـول ومـن كان فاضلا
دعـا أمـة التوحيـد بعـد تمـزق
لحسـن اتحـاد يدحر الخطـب نـازلا
ولـكن أبـى أهـلـوه إلا تفرقـا
وإلاّ عـداء بينهـم وتخـاذلا

* * *

ألا ليت شعري هل درى الخلق بالـذي
جرى في جهـات الشرق أم دام غافـلا
حروب تشيـب الطفـل قبـل مشيبـه
وتترك رب الفكر حـيران ذاهـلا
لقـد شنهـا أحـلاف جهـل وفتنـة
ومـن كان عن سبـل الشريعـة مائلا
ودانـوا لرب العـالمين بزعمهـم
فسـلبهم نيـل لمـن كـان نائـلا

وقد أرخصوا الأرواح دون منالهم
وما رجعوا إلا قتيلا وقاتلا
بضرب رقاب أو بحز حلاقم
وسفك دماء تترك الأرض سائلا
وتقطيع أجسام واحراق أضلع
ليأكلها في النار ما كان آكلا
وتقسيم أموال وترك عوائل
يتامى أيامى لا ترى قط عائلا
فذا بعض ما يجري وما قد سمعته
على كثب منهم ، وقد كنت سائلا

* * *

حنانيك يا رباه ماذا أصابنا
وماذا دهى الإسلام سرعان عاجلا
وأنت رعاك الله يا نسل يعرب
ألست ترى في ذاك مجدك زائلا
لقد عم هذا الشر كل ابن حرة
فأحنى له ظهراً وأثقل كاهلا
سلام على يوم نرى العرب تتقي
به غدر من قد كان للعرب خاذلا

دخلت المدينة المنورة في ركب مؤلف من نحو ثلاثين رجلا من عرب البادية ومن قرية الحائط ، وأنا معهم على ظهر ناقتي بزي بدوي ، أشعث أغبر ، من وعثاء السفر ، وعليّ كوفية وعباءة ، حافي القدمين ، ملثم الوجه بادي العينين ، وما زلنا نجد السير حتى بلغنا منزل ولي العهد ، سمو الأمير علي في منتصف العنبرية ، على طريق السكة الحديدية ، فأنخنا أمام الباب ، ورأينا عشرات مزدحمين هناك ، من أهل المدينة والأعراب ،

فسألنا رجل من طرف سموه : أمعكم كتاب ، فناوله أحد الشيوخ مكتوب الشريف عبد المطلب الذي كتبته بخطي على لسانه ، فلم يلبث الرسول أن رجع الينا يقول : أين الشامي ؟ فتقدمت اليه ، فقال : مولانا الأمير في انتظارك ، فأنشدت في نفسي قول القائل : (متى أضع العمامة تعرفوني) فتعممت على الطربوش ولبست جبتي وجوربي ؛ ثم دخلت على سموه وسلمت عليه ، فحياني بألطف تحية بعد أن نهض سموه واقفا على قدميه ، ثم أكرمني بالجلوس الى جانبه ، وسألني عن صحتي وأحوالي ومقدمي ، فأجبته بخلاصة أيام السفر وما لقيته من شديد الخطر ، فهنأني بالسلامة ، وخيرني بين السفر والإقامة ، فبينت لسموه سبب السفر ثم أحضر حاجبه وأوصاه بي ، وأمر بإعداد محل لي انزل فيه ، فذهبت مع الحاجب داعيا شاكرا فضله ، وجلست حصة لطيفة عند حضرة الحاجب (جميل بك الراوي البغدادي) وبعد تبادل عبارات السلام والمعرفة ، استدعى سيادته (تلفونيا) رشيد افندي الغز الدمشقي (من قرية داريا) المقيم في المدينة المنورة بوظيفة مهندس للخط ، وهو محبوب هناك جدا لاستقامته وكرمه ، فلما انتهى الينا سلم علينا وجلس ، وبعد معرفة اسمي ولقبي قام واقفا وجدد السلام والاحترام ، وقال : ان بني البيطار هم سادتنا ومرشدونا ، وما منهم الا عالم أو متعلم ؛ فحياني جميل بك ثانية وقال تنزل ضيفا في دار رشيد افندي ، واذا عرض لك أمر أو غرض فنرجو اخبارنا (بالتلفون) عنده ، فشكرت غيرته وهمته ، وذهبت مع رشيد افندي حتى انتهينا الى داره في المحطة بأقصى المدينة من جهة الشمال ؛ وبعد تناول طعام الغداء ، مع ضيوفه : حضرة مصطفى أفندي عبد الهادي النابلسي وولده الملازم منير افندي وغيرهما ، استأذنته بالاغتسال في بيته ولم أذهب للحمام اذ ليس عندي شيء من النقود ، وبعد الاغتسال وتغيير الثياب ، ذهبت قاصدا المسجد النبوي وهو يصحبني ، فقطعنا العنبرية والمناخة وسوق

المدينة ، حتى انتهينا الى باب الحرم ، وهنـاك أثر فيّ الخشـوع ، واغرورقت عيناي بالدموع ، واشتد خفقان قلبي ، حين دخولي عـلى النبي صلى الله عليه وسلم ، ولم أكد أضع رجليّ في عتبة الحرم حتى استلمني دليلان ، وتنازعني عاملان ، هذا يقول : من الشام ، والآخر يجيبه : نعم ولكنه قدم من معان ، ثم سـألاني تحقيق الخبر وهمـا يتجاذبان ردائي ، فقلت لهما : أيها الإخوان ، اني منتسب الى العـلم الشريف مثلكما ، وأحب أن التزم الزيارة الشرعية بعد آداء تحية المسجد في الروضة بين المنبر والبيت ، ثم أدعو متوجها جهة القبلة بالدعوات الخيرية ، واني شاكر فضلكما وغير ناس اكرامكما ، ثم ذهبت وصليت ركعتين في موقف النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة ، ثم بسطت يدي الى السماء ودعوت بخيري الدنيا والآخرة لي ولأهلي وأصحابي واخواني ، وتلاميذ (مدرستنا التوفيق خصوصاً) وفقهم الله والمسلمين أجمعين لما يحبه ويرضاه ، ولم أنس بفضل الله أحداً أبداً ، فأسأل الله القبول ، انه أكرم مسؤول ، ثم ذهبت وتشرفت بزيارة النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة صاحبيه أبي بكر وعمر (رضي الله عنهما) وسكان البقيـع وحمزة عم الرسول (ص) وشهداء أُحُد ، رضي الله عنهم أجمعين .

حال البلد الطيب العلمية

البلد الطيب كسائر البلاد أصابته الحرب بنقص من الأموال والأنفس والثمرات ، فأخرته في كل شيء تأخيراً محسوساً ، أما دروس الحرم النبوي العامة فدرس في تفسير القاضي البيضاوي ، وآخران في الفقـه والتصوف ، وأما دروسه الخاصة فمبادىء الفقه والنحو لأفذاذ مـن الطلاب ، وقد شغل الناس أمر المعاش بغلاء الحاجيات ، وقلة الموارد .

المدارس الاميرية

في المدينة المنورة أربع مدارس أميرية ، وهي العَلَوية ، والعبدلية ، والفيصلية ، والزيدية ، على أسماء أنجال جلالة الملك الكرام ، وقد زرتها كلها في اليوم الثاني والثالث ، وعلمت أنها أسست في أوائل الثورة العربية ، ولكل مدرسة مدير ومعاون ، وفي كل منها ثلاثون تلميذاً فأكثر ، ودروس كل منها : القرآن الكريم والتوحيد والفقه الإسلامي والحساب ، وليس للغة العربية فيها أثر ، وقد سألنا عن سبب ذلك ، فقالوا : إن النظام الموضوع من قبل المعارف لا يساعد ، لأنها مدارس ابتدائية ، قلت يا سبحان الله ، أليس فن النحو من الدروس الابتدائية الحاجيّة ، التي تبنى عليها العلوم الشرعية ، وهل هو أدقّ من مسائل الفقه والتوحيد ، اللذين تقرئونهما للتلاميذ ؟ فوعدوني بالعناية بتدريس النحو متى رخص لهم فيه ، وذكر لي أستاذا المدرسة العبدلية بأنهما يقرئان اللغة العربية للطلاب ليلا ، جزاهما الله تعالى خيراً .

رحّب بي أساتذة المدارس الكرام ترحيبا عظيما ، وامتحنوا أمامي الطلاب في جميع الفنون ، وألقى الطلاب النجباء أمامي خطب الترحيب وغيره من منثور ومنظوم ، وشربنا الشاي في كل منها ، وتبادلنا الحديث مع الأساتذة الأفاضل ، وقد ألقينا في كل منها خطبة شكرنا بها حضراتهم على ما لقيناه من كرمهم وودهم ، ثم بينا مزية اللغة العربية وشرفها ، وتدريس الأوربيين في مدارسهم لها ، ولسائر العلوم العربية وغيرها . وسردت بعض النوادر المؤثرة في هذا الموضوع ، وبينت أن مدينة الرسول (ص) ينبغي أن تكون في مقدمة البلاد ديناً وعلماً وأدباً وعرفاناً . وينبغي أن تستمد النهضة الحديثة منها ، وتؤخذ مدنية العرب الجديدة عنها ، وشرحت حديث : « إن الإيمان يأرز الى المدينة كما تأرز الحية الى جحرها » ، وحديث : « بدأ الاسلام غريباً وسيعود كما بدأ » ، وأن معنى ذلك ان شاء الله «أن الإيمان والإسلام بعد أن يضعفا ويرجعا الى

المدينة منبعهما ومصدرهما ، سيستأنفان نشاطهما ، ويجددان شبابهما بهمة آل طيبة الغراء ، ثم يعيدان الكرة ، وينبعث في المرة الثانية من طيبة النور ، فيضيء سائر المعمور ، إن شاء الله تعالى .

فسروا بهذا البيان ، وتبادلنا عواطف الشكر والامتنان ، ثم ودعتهم وانصرفت ، بعد أن كتب كثير منهم اسمي ولقبي وعملي في دمشق .

العلماء الغرباء في طيبة الغراء

قلنا ان المدينة فقدت كثيرا من أبنائها أيام الحرب على اختلاف طبقاتهم ، فمنهم من هاجر منها ولم يعد بَعدُ اليها ، ومنهم من قضى نحبه في المهجر ، أو في نفس المدينة ، وقد فقدت قسماً من علمائها الأجلاء ، وحفظ الله قسماً منهم كقاضيها الفاضل الشيخ عمر الكردي الكوراني أحد أحفاد الشيخ ابراهيم الكوراني الشهير ، ومفتيها الفاضل الشيخ أحمد كمخ وغيرهما . ولا تكاد تجد خمسة عشر في المائة من سكان المدينة الأصليين ، والباقي بين أعراب وأغراب من المهاجرين .

أما العلماء الغرباء الموجودون هناك فقد زرت منهم الشيخ الخضر الشنقيطي وجماعته ، والشيخ أحمد شمس الشنقيطي ، وقد حصل لنا بكل منهما أُنس كبير ، والشيخ عبد القادر شلبي الطرابلسي مدير المعارف ، وبعد مذاكرة دارت بيني وبينه في شأن الدروس العربية وأهميتها ومكانتها ، ذكر لي فضيلته من أمر المعارف ما ساءني أمره ، ولا يسرني ذكره ، وتبين لي أن حضرته غيور على دينه ، حريص على مصلحة قومه ، ولكن الأمر كما قيل : تجري الرياح بما لا تشتهي السفن . يسر المولى لهم من أسباب النهوض ما يحبون بمنه وكرمه . آمين .

فاتنا أن نذكر اجتماعنا في المدينة المنورة بحضرة حاكمها العسكري شكري باشا الأيوبي الدمشقي ، وهو حفظه الله تعالى رقيق الطبع لطيف الخلق .

رجوعي من المدينة المنورة الى دمشق

ثم عدنا من المدينة الى دمشق الشام ، بعد أن مكثنا فيها ثلاثة أيام ، مشمولين بالخير والإنعام . ركبنا قطار المدينة ليلة الأربعاء ١٩ رجب الفرد عام ١٣٣٨ فبلغنا دمشق مساء الخميس ٢٨ رجب عام ١٣٣٨ أي انالطريق استغرق تسعة أيام ، فالحمد لله على التمام ؛ ونسأله تعالى حسن الختام ، وعلى ساكن طيبة وآله أزكى الصلاة والسلام .

* * *

ثلاث رسائل متبادلة بيني وبين الإمامين عبد العزيز بن عبد الرحمن الفيصل آل سعود . ومحمد رشيد رضا منشىء المنار وتفسيره ، وفيها تلخيص لما عانيته في الرحلة وللغرض منها ، وللموضوعات العامة التي جرت المذاكرة فيها بوساطة الرسل أو اللقاء والمشافهة ، أو الكتابة .

الرســالة الاولى

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله حق حمده ، والصلاة والسلام على نبيه المصطفى وآله وصحبه .

الى حضرة الأمير الجليل ، ومجدد معالم الدين النبيل ، ناصر السنة الغراء ، وخاذل ذوي البدع والأهواء ، الإمام عبد العزيز آل سعود ، أيده الله بروح منه .

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته . وبعد بث الأشواق القلبية ، وتوجيه الدعوات الخيرية ، أبدي أن حضرة أستاذنا الكريم ناشر علم السنة في مصر والشام ، بل في جميع أقطار الإسلام ، السيد محمد رشيد رضا أرسلني اليكم وأرسل معي خطاباً لأسلمه الى سموكم ، مشتملاً على التعريف بي ، والدعوة الى عقد اتفاق عام ، بين جميع أمراء الجزيرة العربية وأئمتها الكرام ، دفعاً للعدوان الأجنبي على بلاد الإسلام ، ولم يكن يخطر في بال السيد ولا في بالي ، ما لاقيته في السفر من المتاعب ، وما قاسيته من الأهوال والشدائد ، وأول ما صادفنا عصابة شقية ، من عشيرة بني عطية ، سلبتنا نقودنا وثيابنا وزادنا ، وسلبوني مقدار خمسين جنيها ذهبا عدا ثيابي وزادي ، وأصبحت نفقتي على حساب رفيقي وأخي في الله تعالى شلاش جزاه الله تعالى خيرا . ولقينا مفرزة ثانية في موطن آخر ، فوجهوا الى صدورنا السلاح ، ثم عرفوا أخانا شلاش فأطلقوا

سبيلنا . وأطلق آخرون علينا الرصاص ، فلم نصب ، ولله الحمد ، بأذى .

وإني أعزك الله أيها الإمام ، سليل أعلام من خدمة الكتاب والسنة في دمشق الشام ، وقد اعتدنا حالة الحضر ، ولم يسبق لنا تحمل مشاق السفر ، ولذا نالني في خمس وعشرين ليلة كان فراشي فيها الرمال ، بين الآكام والجبال ، ومركوبي في بعضها الجمال ، نالني ما أورثني الآلام ، وأمرضني عدة أيام ، وقد احتسبت ذلك عند الملك العلام ، ورجوت أن يكون جهاداً في سبيله ، وابتغاء مرضاته . ولما قربنا من قرية الحائط ، قصّوا علينا من فظائع حروب المسمَّين بالمتدينة مع خصومهم ، ما تقشعر منه الأبدان ، ويتفطر له قلب أهل الإيمان ، وهم يطلبون الشهادة على أيدي من يكفرونهم ، ويتقربون بقتل مثلي لأسباب لا تخفى على فطنة الإمام ، وهم أخلاط من عشائر بدوية لا يدرون ما الكتاب ولا الإيمان ، ولا يعرفون لنفس حرمة ولا قيمة ، قلت في نفسي : « ومن يقتل مؤمناً متعمداً فجزاؤه جهنم » ، هدانا الله وإياهم سواء السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل .

ولقد كنا نزلنا ضيوفا عند متعب أخي سلطان الفقير ، فألفيناه هنالك هو والإخوان ، على أحسن حال يكون عليها أهل الإسلام والإيمان . وقال إن هذا أثر الوعظ والإرشاد ، لا السيف والجهاد ، وكذا رأينا العشائر المجاورة لهم ، تقيم الصلاة وتسأل عن أحكام الزكاة ، وذكروا أنهم في حاجة الى مرشدين ، يعلّمونهم أحكام الدين ، قلت هذه فرصة لمن يبتغي وجه الله والدار الآخرة من علماء نجد الأفاضل اذا هم انبثوا في جميع العشائر والقبائل ، فان العرب التي لم تستجب بعد ، ليسوا بأقسى قلوباً ولا أغلظ أكباداً ممن دانت ، فهم في مزيد الحاجة الآن الى أن يشملهم نظر الإمام ، بارسال واعظين حكماء ، يعلّمونهم أحكام الشريعة السمحة ، بالحكمة والموعظة الحسنة ، وأحسب أنهم لا يمضي

عليهم وقت قليل ؛ حتى يكونوا أحسن حالا من كل قبيل ؛ وتلك أيسر الخطتين . وأقرب الطريقين ؛ والإمام أيده الله أبعد نظرا وأوسع خُبرا وخَبرا .

كتبت هذا اليك أيدك الله وأنا في قرية (الحائط) معتلّ المزاج . لأرسله مع خط السيد مع أخي في الله شلاش ؛ كما أشاروا علينا بذلك . وقال شلاش انه يتعهد بايصال الأمانة اذا أنا سطرتها له ؛ ففعلت : ولكني آسف كل الأسف على أن أقطع خمسا وعشرين مرحلة ، ثم يبقى علي بضع مراحل ، فيحال بيني وبين قطعها للتشرف بلقاء الإمام ، والاستفادة من مجالسه العالية . وممن لديه من العلماء الأعلام ؛ وسائر الإخوان الكرام . ذوا أسفاه وواحر قلباه :

أرى ماء وبي ظمأ شديد ولكن لا سبيل الى الورود

فعلى أولئك القاطعين المانعين ما يستحقون ، وإنا لله وإنا اليه راجعون.

ولقد ذاكرني السيد مذاكرات ؛ لأشافهكم بها ؛ فكتبتها في ورقة خاصة مشارا اليها بالأرقام ، وأرجو كل الرجاء أن تجيبوني عنها كتابة باختصار ، حتى أسرد تلك الأجوبة للسيد ، قياما مني بتمام الخدمة ، ووفاء بواجب الذمة ، وعسى أن يسبغ الله بكما على المسلمين النعمة ، ويدفع عنهم البلاء والنقمة .

وأكرر رجائي في أن تأمروا بكتابة جواب مختصر على المذكرات ، ويفصله لي مؤتمن من طرفكم تفصيلا اذا شئتم واقتضى الأمر ذلك . والإمام أعزه الله وأناله من خدمة الإسلام ما يتمناه أرأف بي من أن يردّني مخذولا ، أو يعيدني الى السيد مخجولا ؛ ويأبى عطفه وفضله أن تجتمع علي مصيبتان ، مصيبة عدم التشرف بلقائه ، وعدم القيام بغرض السيد الشريف ، مع تعبي وتعبه وعنائه . أدامك الله تعالى لنصرة المسلمين والإسلام .

يصلكم ان شاء الله مع الأخ شلاش كتاب « مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين » لشيخ الإسلام الثاني ابن قيم الجوزية ، شرح كتاب أبي اسماعيل الهروي ، وكله علم وتحقيق في فن التصوف ، وتزكية النفس بالفضائل ، وعدم تدسيتها بالرذائل ، وقد طبع في مطبعة المنار ، فأقدمه لجنابكم العالي هدية مني . فتفضل أيها الإمام الجليل . بقبولها من هذا الضعيف ، أدام المولى فضلكم .

وإني في الختام ، أقدم وافر الشوق وعاطر السلام ، الى من بطرف مولاي من العلماء الأجلاء والإخوان الكرام ، عليهم جميعا أزكى التحية والسلام .

حرره في ٥ رجب عام ١٣٣٨ هـ

محبكم المخلص :
محمد بهجة البيطار

* * *

الرسالة الثانية

كتاب مني الى السيد الإمام محمد رشيد رضا بعد عودتي بالقطار من المدينة المنورة الى دمشق الشام ، آخر شهر رجب الحرام . عام ١٣٣٨ هجرية

ياشيخ الإسلام ، جعلني الله تعالى فداك ، ورزقني برك ورضاك . لي عظيم الشرف بلثم يدك ، وتقديم أوفر الشوق الى سيادتك ، وبعد فاني قد وصلت أمس دمشق الشام ، بعد أن لبثت في المدينة المنورة ثلاثة أيام ، على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ، وخلاصة الأمر أني قد قطعت مع رفيقي خمسا وعشرين مرحلة ، وبلغنا قرية الحائط الواقعة شمال المدينة على مسافة أربع مراحل منها ، وما بعدها أول حدود متدينة نجد فلم أستطع أن أخطو خطوة واحدة في أرضهم ، خيفة من أن أقتل شر قتلة ، على يد جهلة عشائر البدو ذوي الأهواء والضلة ، فأرسلت مع رفيقي الرسالة ، وبلغت كتابةً جميع الأمانة ، وعززت ذلك بكتاب مني أوضحت فيه عذري وألححت على الأمير برد الجواب ، وهذه أول خدمة للإسلام ، أقوم بها على يد سيدنا الإمام . أقمت في الحائط منتظرا رفيقنا ثمانية أيام ، ثم اضطر شيوخ القرية أن يَرِدوا المدينة المنورة فصحبتهم ، وأقمت هنالك ثلاثة أيام عند رجل دمشقي بأمر من سمو الأمير علي ، وخيرني سموه بين المقام ، أو العود الى دمشق الشام ، فاخترت الثاني ورجعت بحمد الله سالما .

ليس بي الآن قوة — وأنا عليل المزاج ، منحط الجسم ، مشتت الفكر — لأكتب لسيادتك أكثر مما كتبت ، أو أوضح أكثر مما أوضحت ، وذاك بأنه ليس ركوبي على ظهر الجمل ، بأشد خطرا ، ولا أكثر ضررا ، من ركوبي في بطن القطار ، الذي بقيت فيه تسع ليال ، ما أذوق المنام إلا غرارا ، من شدة الازدحام ، وحذار جهال البدو اللئام . وحسبي أن

أنقل من مذكرات رحلتي نبذة يسيرة من أحوال جهال المتدينة ، وقصيدة في وصفهم ، وكتابي ، وكلها أرسلتها الى الأمير مع كتاب سيادتك ، وفي أول فرصة أتمكن بهـا من المثول بين يديك أبسط أمامك مـا يجب بسطه ان شاء الله ، وعليك أيها السيد الكريم في الختام كريم التحية والسلام .

محمد بهجة البيطار

* * *

الرسالة الثالثة

بسم الله الرحمن الرحيم

صاحب الجلالة الملك الإمام عبد العزيز آل سعود المعظم ، أطال الله عمره ، وأدام نصره ، آمين . السلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

وبعد ، فقد عدت ولله الحمد وأنا مطمئن القلب ، مرتاح الضمير ، فرح مستبشر برضا الله تعالى ثم برضا الإمام عني ، وثقته الغالية بي ولله الحمد ، وما عندي شيء يعدل شكر هذه النعمة إلا الدعاء لله عز وجل بأن يطيل عمر الإمام ، ويديمه ذخراً للمسلمين .

بلغت شكر صاحب الجلالة لأستاذنا السيد محمد رشيد رضا وعطفه وثناءه الساميين عليه ، وبشرته بما يسره ، وبما يسر علماء نجد الأكارم ، فشكر فضل الإمام ، ودعا له بدوام النصر والتوفيق ، وقال : إن ثنائي على جلالته أكثر ، وشكري له أوفر ، وإني على دوام رضاه أحرص ، ولولا ثقتي به وبدينه ، وخوفي عليه وعلى ملكه ، ورجائي في انتصاره للمسلمين ودفاعه عنهم بقدر المستطاع ، ومعرفتي بفوائد هذا الانتصار والدعاء ، لولا ذلك ولولا اعتقادي أن هذا النصح والتذكير مما يجب علي القيام به وعدم التقصير فيه ، لما كتبت الى جلالته في ذلك حرفا ، فاني جد حريص على دوام مودته ، وان مسرته مسرتي ، ومساءته مساءتي ، ولكن التعاون على الخير ودفع الأذى والعدوان مفروضان علينا « وتعاونوا على البر والتقوى ، و لاتعاونوا على الإثم والعدوان » فشكرت لفضيلة السيد محبته ومودته وغيرته ، ثم قلت : ان ما تعهدونه في إمامنا المحبوب من غيرته على الدين والأمة ، وحبه للاصلاح والدفاع هو الذي يدعوكم الى تذكير جلالته بما ترونه واجبا ، (قلتُ) ولكن مدار الأعمال على المال ، وهو الآن غير ميسور ، وأنا أعلم من جلالة الملك أن كل ما يراه المفكرون ــ على اختلاف مشاربهم وأذواقهم ــ

ضروريا ، وكل ما سمعه أو علمه من مقترحاتهم ، فهو إما أن يرى رأيهم فيه فيؤخره عنه عدم وجود المال ، وإما أنه لا يرى المصلحة فيه •

قال فضيلته : أما الأعمال ، فمدارها على الرجال والمال ، والمال وحده لا ينشىء الأعمال ، وأما الرجال العاملون العارفون فهم يوجدون طرقا لتكثير الثروة وحفظها ، ويقومون بالأعمال والمشاريع النافعة التي تظهر ثمرة المال وفوائده ، قال : وأنا أعلم أن بلاد الحجاز تحتاج اليهما جميعا ، لتقوى وتعمر وليدوم لها ولإمامنا فيها الهناء والرخاء ، ويكسب ثقة العالم الإسلامي كله ، وأنا على يقين من أنه لا يقوم عمل في الدنيا بدونهما (الرجال والمال) وأخاف من عواقب فقدانهما ، ولا تزال بحمد الله ــ الفرصة سانحة بوجود هذا الإمام المحبــوب ، بهجة الأرواح والقلوب ، وقد جئتَ الآن (الخطاب الى محمد بهجة البيطار) بتبشيري عنه بكل ما يسرني ، فيالها من بشرى ، وزدتَ على ذلك أن جلالتــه أرسل الأوامر مؤكدة مشددة الى جماعات الآمرين بالمعروف ، في كل مكان ، ليقوموا بأعمالهم بلا هوادة ، وأوصى الدوائر الحكومية الرسمية من أقصاها الى أدناها بتقوى الله في أنفسهم وفي أعمالهم ، وقرن القول بالفعل ، فظهر لذلك أثر محسوس ملموس ، فهذه بشرى أخرى •

ثم قال الأستاذ : أنا ــ تحدثاً بنعم الله ــ أعلم سنن الله تعالى التي هدانا اليها القرآن في الأفراد والأمم ، والممالك والشعوب ، وأعلم أسباب الصعود والهبوط ، والدوام والزوال ، ومن يطالع المنار والتفسير يعلم ذلك ، ثم بين كيف تنطبق هذه السنن الإلهية على الدول والأمم قديمها وحديثها ، وهي لا تتخلف أبدا ، وللممالك والشعوب آجــال كما للأفراد ، ولطول حياة الشعوب وسائل وأسباب • واني لأكتب ما أكتب الى جلالة الملك بباعث الخوف والرجاء ، وأسأل الله تعالى له طول البقاء ، ولحكومته دوام الارتقاء ، ولو كنت أعتقد أن السكوت يسعني أو أن غيري يكفيني مؤونة هذا النصح لآثرت الصمت •

والذي يزيدني رغبة في القول والعمل ، وغيرة على هذه الحكومة ، هو كونها حكومة دينية سلفية . تُعنى بتطبيق أعمالها على أساس الكتاب والسنة ، وما كان عليه سلف هذه الأمة ، فهي تتفق في غايتها مع ما أنشده وآنشره في المنار والتفسير ، منذ خمسة وثلاثين عاما ، وما زلت أقيم الأدلة على آن الحكومة الإسلامية التي تقام على أساس الشرع ، تفضل جميع حكومات الأرض • (ويكفي كتاب الخلافة العظمى شاهد عدل)•

فأنا أرى آن هذه الحكومة الدينية التي تتمثل سلفيتها في شخص الملك تحتاج من أجل تثبيت أركانها ، ورفع بنيانها ، وتحقيق غايتها الى أمور لا بد منها . ولا غنى لها عنها ، وهي ما آكتب الى جلالة الملك بها ، وأسأل الله تعالى له مزيد التوفيق •

قلت : (القول من محمد بهجة البيطار) أنا أعرف قيمة هذه النصائح الثمينة التي تفضلتم بها ، والفوائد العظمى التي تنبني عليها ، ولكن لا يخفى على أستاذنا أن تحقيق هذه المطالب التي أشرتم اليها ، يحتاج الى مال كثير ، وأنّى للحكومة به الآن ؟ ثم إن نشرها في المجلة أو المطالبة بها ، — مع عدم إمكان تحقيقها ، لا يأتي بالثمرة الطيبة التي تتوخونها ، عدا ما في ذلك من تنبيه الأفكار ، وتوجيه الأنظار ، وعدّ ذوي الأغراض ذلك إعلان عداء ، وذلك ما لا يرضاه فضيلة السيد ، ولا يتفق مع سعيه المشكور بوجه من الوجوه ، ولا يود أحد من المخلصين للأمة العربية ، والملة الإسلامية ، أن يكون أبدا •

ثم ان جلالة الملك الإمام الآن في نجد كما علمتم ، والاصلاح في الحجاز لا يتم إلا بوجوده فيه ، وبعد العود بالسلامة ان شاء الله تكون المكاتبة أقرب وأولى • على أني أعتقد أن جلالة الملك لا يقبل أي إصلاح يأتي عن غير طريق الدين ، ويثقل عليه دعوته الى محاكاة أوربا أو أمريكا ، وانما يحب الأخذ عن كتاب الله ، وسنة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وعمل السلف الصالح ، وهذا شيء انفرد به فضيلة

أستاذنا صاحب المنار ، فلا يعدُّ أحد في طبقته فيه ، سواء أكان من العلماء أو مشاهير الكتاب ، فهو في تذكيره الملك الإمام في هذا الشأن ، في غنى عن مشاركة أي انسان • وإني أرى أن جلالة الملك يقبل منه ما لا يقبل من غيره ، وأرى أن الاجتماع للمذاكرة أفضل من المكاتبة • وبناء على ذلك أرجح بل أقترح على فضيلة السيد أن يستأذن مولانا الإمام ، في أن يلقاه في بلد الله الحرام ، ليذكر له كل ما يجول في نفسه ، ويتعاون معه على كل ما يحقق المطلوب للإسلام وللمسلمين ، والله هو الموفق والمعين •

قال فضيلته : أنا أعلم أن المال الآن ، غير موجود ، والحالة تدعو الى الاقتصاد التام في النفقات ، وليس من رأيي نشر أفكاري ومطالبي الآن في المنار ، إذ ربما يحمل ذلك كماقلت على محمل سيىء • أما أمر السفر الى هناك ، والاجتماع بجلالة الملك فلا أستكثره على هذه المهمة الإسلامية ، واذا دعيت اليه أجبت مع الشكر ، ونسأله تعالى أن يوفقنا جميعاً لما يحبه ويرضاه •

ثم تذاكرنا في مطبوعات الملك الإمام ، والتعليقات عليها ، وبسطت له رأي المشايخ فيها • وأخيرا عدل عن التعليق على ما يطبع عنده ، وقال لي فضيلته : أنا محتاج الى الوقت الذي أصرفه في هذه السبيل ، وحسبنا الله ونعم الوكيل •

هذا ما علق بالذهن من حديثي مع الأستاذ صاحب المنار : أعرضه على نظر الإمام المعظم أيده الله •

محمد بهجة البيطار

* * *

وقد جرى التفاهم التام بين جلالة الملك المعظم عبد العزيز آل سعود والسيد الإمام محمد رشيد رضا على مسائل الإصلاح المنشود في البلدان العربية والإسلامية ، بمساعي هذا الضعيف (البيطار) كما هو واضح في هذا الكتاب الأخير الذي ختمنا به هذه الرحلة الأولى ، فالحمد لله على التمام ، ونسأله تعالى حسن الختام .

• • •

ترجمة الضعيف

محمد بهجة بن محمد بهاء الدين بن عبد الغني بن حسن بن ابراهيم ابن حسن بن محمد بن حسن البيطار الدمشقي

بسم الله الرحمن الرحيم وبه نستعين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى سائر الأنبياء والمرسلين ومن تبعهم باحسان •

وبعد فالمشهور أن أصلنا القديم من بليدة وهي بلدة من أعمال الجزائر ، هاجر منها جدُّ جدي الأدنى ، سميه الشيخ حسن ، واستوطن دمشق الشام ، منذ أكثر من مائتي عام ، ولم أقف على تاريخ الأسرة ، ولا على سبب الهجرة ، ولم يشر الى مثل ذلك سيدي الجد الشيخ عبد الرزاق البيطار المؤرخ للقرن الثالث عشر في كتابه (حلية البشر)[1] • وفي منتخبات التواريخ للسيد التقي الحصني شذرات من تاريخ الأسر الدمشقية ، ومنها أسرتنا البيطارية ، قال رحمه الله تعالى : (ج ٢/٨٨٥)

ومن الأسر الشهيرة في العلم والفضل في حي الميدان ودمشق (بنو البيطار) خرج من رجال هذا البيت جماعة من أجلّة العلماء والشعراء ، تقدم ذكرهم في كتابنا في العصر الأخير ، وهم الشيخ محمد أمين الفتوى ، وله ذرية كبيرة نجيبة ، والمؤرخ الشهير الشيخ عبد الرزاق وله أحفاد نجباء ، والشيخ عبد الغني ، وله ذرية أدباء ، والشيخ سليم أحد أركان رجال هذا البيت ، مات سنة ١٣٤١ هـ وقد أعقب ذرية نجيبة ، عرفنا منهم الشيخ جميل إمام جامع الدقاق وحسني بك المحاسب المركزي لمالية دمشق • واشتهر منهم بالفضيلة والعلم الشاعر الشهير الشيخ بهاء الدين ، وهو والد صديقنا الشيخ محمد بهجة من علماء دمشق، ومن مدرسي الحرم المكي اليوم (سنة ١٣٤٤ الى سنة ١٣٤٩هـ) اهـ بتصحيح قليل •

---

(١) سيأتي ذكره في هذه الترجمة بين المؤلفات المطبوعة .

وذكر الشيخ محمد (وهو كبير الإخوة الأشقاء الأربعة وهم محمد وعبد الغني وعبد الرزاق وسليم) الأستاذ الشطي في وفيات سنة ١٣١٣ هـ وقال : إن المترجم من كبار علماء دمشق وفقهائها ، وهو أمين الفتوى بها أكثر من ثلاثين سنة . ثم نقل ترجمته عن التقي الحصني، وزاد عليها زيادات جعلها بين هلالين ، وترجم الصديق المؤرخ الشطي لفضلاء من أسرتنا في تاريخيه روض البشر ، وأعيان دمشق . أما الأستاذ الجد الشيخ عبد الرزاق فقد ترجم في (الحلية) لجده ابراهيم (ج ١ ص ٦) ولابن شقيقه عبد الغني وهو والدي بهاء الدين (ج ١/٣٨٠) ولوالد المؤلف حسن بن ابراهيم (١/٤٦٣) ولشقيقه عبد الغني بن حسن (ج ٢/٨٧٣) ولشقيقه الأكبر محمد (ج٣/١٤٢١) ولأصغر الأشقاء الأربعة سليم (٣/١٤٢١) ولابن أخيه محمود بن محمد البيطار (٣/١٤٨٣) .

هذه شذرات من تاريخ هذه الأسرة ، تراجع في صفحاتها من أجزاء « الحلية » وإني اكتب ترجمتي بالكلم الوجيز ، وأضيفها الى هذه التراجم استكمالا لهذه السلسلة .

١ ـ الدراسة الابتدائية والثانوية :

كانت ولادتي بدمشق الشام ثاني يوم من شهر رمضان المبارك سنة ١٣١١ هـ و ١٨٩٤ م .

وكانت الدراسة الابتدائية في المدرسة الريحانية ، والدراسة الثانوية في المدرسة الكاملية من المدارس الأهلية ، ودرست اللغةالفرنسية في المدرسة العازارية الميدانية ، ودراسة خاصة على المسيو موريس ، (وهو الأستاذ عبد الله الريحاني الذي أسلم عن يدي رحمه الله) .

٢ ـ الدراسة العالية :

وفي سنة ١٣٢٦ تركت المدارس وعنيت بتلقي العلوم العربية

والدينية والعقلية على والدي الشيخ بهاء الدين ، وعلى عالمي الشام جدي الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي ، وعلى محدث الشام الشيخ بدر الدين الحسني ، ثم على العلامة الجليل الشيخ محمد الخضر حسين التونسي شيخ الجامع الأزهر ، وقد قلت أيام قراءتنا عليه بدمشق (وهو خاتمة شيوخي) :

ياسائلي عن درس رب الفضل مولانا الإمام
ابن الحسين التونسي محمد الخضر الهمام
سل عنه مستصفى الأصول لليث معترك الزحام
أعني الغزاليّ الحكيم رئيس أعلام الكلام
وكذاك في فن الخلاف بداية العالي المقام
أعني ابن رشد من غدا بطل الفلاسفة العظام
وكذا صحيح أبي حسين مسلم حبر الأنام
وكذلك المغني الى شيخ النحاة ابن الهشام
وكذا كتاب أبي يزيد بن المبرّد في الختام
تلك الدروس كما الشموس تنير أفلاك الظلام
فتكون منك حقائق المعنى على طرف الثمام
فالحق عوضنا به من شيخنا شيخ الشآم[1]
فعليه ماذر الغزالة رحمة الملك السلام

ولي إجازات علمية خطية من بعض هؤلاء الأجلاء ، أحسن الله اليهم، وجمعنا بهم في دار كرامته .

٣ ـ المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجمع القاهرة والعراق :

انتخبت عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٣٤٠ هـ = ١٩٢٢ م

---

(١) هو علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي .

وبعد توحيد مجمعي دمشق والقاهرة في ٢٦ حزيران سنة ١٩٦٠ م . اعتبر القرار الأعضاء في القاهرة ودمشق أعضاء في المجمع الجديد .

وانتخبت عضواً في المجمع العلمي العراقي في بغداد في ٣ حزيران سنة ١٩٥٤ م .

٤ ـ التعليم بدمشق ، والتدريس في الحجاز :

علّمت في الثانوية الكاملية وغيرها . ثم دعتني وزارة المعارف السورية سنة ١٩٢١ م لتعليم الدروس الدينية والعربية واللغة الفرنسية (في عهد وزارة الأستاذ محمد كرد علي رحمه الله) بمدرسة خالد بن الوليد ، واستمررت في العمل . الى أن دعيت الى الاشتراك في المؤتمر الإسلامي العام . الذي انعقد بمكة المكرمة سنة ١٣٤٤ هـ = ١٩٢٦ م فلبيت الدعوة وأديت فريضة الحج ، واشتركت في أعمال المؤتمر ، وهنالك استبقاني جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله ، وأدرت المعهد العلمي السعودي خمس سنين . (وحج العيال معي سنتين ، أما هذا الضعيف فقد منّ الله علي بالحج سبع مرات ، وبالزيارة مرات) . ولم أنقطع عن قراءة الدروس في الحرم المكي الشريف مدة اقامتي بمكة، وأقمت نحو شهر في المدينة المنورة ، وكنت أقرأ الدروس في الحرم النبوي .

٥ ـ الوظائف والأعمال :

تقلدت أثناء ذلك أعمالا أخرى ، صدرت فيها مراسيم ملكية وها هي ذي بترتيب تواريخها :

أ ـ عينت عضواً بمحكمة مكة الشرعية الكبرى ، ونائبا لرئيس هيئة المراقبة القضائية سنة ١٣٤٦ هـ .

ب ـ وعينت مفتشاً للعلوم الدينية في مدارس الحجاز ، ومدرساً للتوحيد والتربية العلمية سنة ١٣٤٧ هـ .

والدينية والعقلية على والدي الشيخ بهاء الدين ، وعلى عالمي الشام جدي الشيخ عبد الرزاق البيطار والشيخ جمال الدين القاسمي ، وعلى محدث الشام الشيخ بدر الدين الحسني ، ثم على العلامة الجليل الشيخ محمد الخضر حسين التونسي شيخ الجامع الأزهر ، وقد قلت أيام قراءتنا عليه بدمشق (وهو خاتمة شيوخي) :

ياسائلي عن درس رب الفضل مولانا الإمام
ابن الحسين التونسي محمد الخضر الهمام
سل عنه مستصفى الأصول لليث معترك الزحام
أعني الغزاليَّ الحكيم رئيس أعلام الكلام
وكذاك في فن الخلاف بداية العالي المقام
أعني ابن رشد من غدا بطل الفلاسفة العظام
وكذا صحيح أبي حسين مسلم حبر الأنام
وكذلك المغني الى شيخ النحاة ابن الهشام
وكذا كتاب أبي يزيد بن المبرّد في الختام
تلك الدروس كما الشموس تنير أفلاك الظلام
فتكون منك حقائق المعنى على طرف الثمام
فالحق عوضنا به من شيخنا شيخ الشآم(١)
فعليه ماذر الغزالة رحمة الملك السلام

ولي إجازات علمية خطية من بعض هؤلاء الأجلاء ، أحسن الله اليهم، وجمعنا بهم في دار كرامته .

٣ ـ المجمع العلمي العربي بدمشق ، ومجمع القاهرة والعراق :

انتخبت عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق عام ١٣٤٠ هـ = ١٩٢٢ م

---

(١) هو علامة الشام الشيخ جمال الدين القاسمي .

هـ ــ وفي عام ١٩٤٣ م انتخبتني وزارة المعارف مدرسـاً لمادتي التفسير والحديث في داري المعلمين والمعلمات ٠

و ــ ثم عينت بدمشق مدرساً للتفسير والحديث في كلية الآداب من فروع الجامعة السورية من عام ١٩٤٧ ــ الى عام ١٩٥٣ م ٠ وفي أول رجب من سنة ١٣٧٨ هـ وكانون الثاني ١٩٥٩ م عينت مدرسـاً للتفسير في كلية الشريعة ٠

٧ ــ العودة الى الحجاز :

في عام ١٣٦٣ هـ استدعاني جلالة الملك عبد العزيز آل سعود رحمه الله لانشاء دار التوحيد بمدينة الطائف ، فلبيت الدعوة وبذلت أقصى الجهد حتى تم انشاؤها وبقيت فيهـا ثلاث سنوات ، الى أن أصبحت ثانوية كبرى ، وقد كتبت عنها الصحف العربية وغيرها بأنها معهد أنشىء لتخريج قضاة ومفتين ، ودعاة الى سبيل ربهم بالحكمة والموعظة الحسنة ، وكان صحبني في هذه المرة ولداي يسار وعاصم ، وكانـا عوناً لي في الإدارة والتعليم ، وقد عاد الأول بعد انتهاء السنة الدراسية الثانية ، وعاد الثاني بعد انتهاء السنة الثالثة ٠

٨ ــ الإمامة والخطابة والتدريس :

توفي والدي الشيخ بهاء الدين سنة ١٣٢٨ هـ رحمه الله فحللت محله في جامع محلة القاعة من حي الميدان بضع سنين إمامة وخطابة وتدريساً ، وبعد وفاة خالي الشيخ أحمد رحمه الله أمرني والده سيدي الجد الشيخ عبد الرزاق البيطار سنة ١٣٣٥ هـ بتولي إمامة جامع كريم الدين الشهير بالدقاق (في حي الميدان) مع الخطابة والتدريس ، ثم تولى الإمامة ابن عمي الشيخ جميل ، وبقيت خطيب الجامع ومدرسه ، ولا أزال مواظبا عليهما بحمد الله الى هذا التاريخ ١٣٨٧ هـ ٠

وممن سمع خطب هذا الضعيف في جامع الدقاق ، الأساتذة الأجلاء :

سمیي الأثري البغدادي ، وحبيب العبيدي الموصلي ، وعبـد القادر المغربي الطرابلسي ، رئيس مجمعنا العلمي بدمشـق ، وأبو عبد الله الزنجاني الإيراني ، وابن عمه عبد الكريم ، ومحمد سعيد العرفي الديري ، ومحمد تقي الدين الهلالي المغربي ، والأمير شكيب أرسلان وغيرهم . وبعد أداء الخطبة وصلاة الجمعة أكون في صحبتهم الى دارنا لنقوم بواجبنا ، ولنستفيد من حكمتهم ، ونبقى الى ما بعد صلاة العصر .

وأما الإمام للصلوات الخمس ، فهو ابن عمي الشيخ محمد نعيم البيطار . ولنا مجلس بعد العشاء في احدى حجر هذا الجامع ، قرأنا فيه طائفة من الكتب الدينية والعقلية والعربية ، بحضور إمام الجامع الشيخ نعيم ، وإمـام جامـع الساحـة وخطيبه الشيـخ مسـلم الغنيمي الميداني حفيد الشيخ عبد الغني الشهير ، والشيخ ابراهيـم حَشُون إمام جامع السفارة السعـودية ، والقاضي الأستاذ سعـدي أبو حبيب ، وكنا نقرأ مع هؤلاء الإخوان كتاب الموافقـات للشاطبي ، ومن مراجعنا كتاب الآمدي والمستصفى للغزالي في أصول الفقه ، ونقرأ أيضا كتاب ابن قيم الجوزية ، في الرد على المعطلة والجهمية ، ويحضر معنا الأستاذ أرسلان نجل صديقنا الأستاذ الشيخ حامد التقي ، ومن قبل كنت أقرأ دلائل الإعجاز لإمام البلاغة الجرجاني ، وكان يحضره سيادة صبري العسلي الرئيس السابق لمجلس الوزراء فتأثر ببلاغة هذا الكتاب خطابة وكتابة .

أما تدريسي في المدارس للعلوم على اختلافها ـ لا سيما علم التفسير ـ فكنت أبذل فيه أقصى الجهد ، وحسبي ما وصفه به بعض طلابنا الأدباء بقولـه :

وما أستـاذنا البيطـار إلا ... وحيد الشام في علم الكتاب

فيشرح حين يشرح كل صدر ... بمعنى من معانيـه العذاب

ويبعث همـّـة الآساد فينـا ... كأن الشيخ في شرخ الشباب

٩ ـ أهم ما ألهمنيه الله تعالى من أبواب الخير :

أُهدِيتْ إلي في عهد جلالة الملك الراحل عبد العزيز آل سعود (تغمده الله برحمته ورضوانه) سيارة بعد سيارة ، فوهبتهما الى دار التوحيد السعودية التي كنت رئيسها في مدينة الطائف . وقــدّم إلي المجمع العلمي الروسي الذي لبينا دعوته (سنة ١٩٥٤ م) مبلغا يقرب من ألف ليرة سورية لاشتري به هدايا فرددته شاكرا فضلهم . وقدّم إلي ألف ليرة سورية تبرعا من بعض أمراء آل سعود الكرام ، اذ شرفوا وحلّوا ضيوفا في الشام ، فتبرعت بالمبلغ كله لدار الأيتام السعودية بدمشق ، والحمد لله على فضله وكرمه .

أما تبرعاتي من مالي الخاص للمعاهد الدينية والخيرية ولإسعاف طلبتها ، أو العجزة المقيمين فيها ، فاسأل بها خبيرا ، وأما المعاشــات المرتبة لأولي الأرحام فيعرفها أهلها .

وما دعوت الى التعاون في أمر خيري على المنبر أو في الدروس ، إلاّ وكنت البادىء بنفسي ولله الحمد ، على أني لا أجمع بيدي ولا أوزع بمعرفتي ، وقد اعتزلت الولائم والمآدب الرسمية وغيرها ، عملا بقول من قال :

فلزمنــا البيوت نستخرج العلم ونملا بــه بطون الطروس

وأنا سعيد بالمحافظة على الوقت ، والمواظبة على العمل ، وقراءة الدروس في المساجد العامة ، والدروس العربية والدينية لطلاب العلم ، فلله الحمد على ما أنعم ، والشكر له على ما ألهم ، ونسأله تعالى القبول والمثوبــة .

١٠ ـ رحلاتنا الى الديار العربية والاسلامية والى العالمين الشرقي والغربي:

(١) الرحلة الى الحجاز والى نجد

رحلت (في ج ٢ سنة ١٣٣٨ هـ) الى الحجاز ونجد للدعوة الى عقد

اتفاق عام ، بين أمراء الجزيرة وأئمتها الكرام ، دفعاً للعدوان الأجنبي على بلاد العروبة والاسلام ، وتكليفي بهذه المهمة كان من جلالة الملك فيصل الأول الهاشمي والسيد الإمام محمد رشيد رضا منشىء المنار والتفسير بمصر أيام الحكومة العربية السورية الأولى . وهي الرحلة التي وصفت في هذا الكتاب .

(٢) الرحلة الى الأقطار العربية

كانت رحلتي الثانية من دمشق الى العراق ونجد والحجاز في ذي القعدة سنة ١٣٦٣ هـ وتشرين الأول سنة ١٩٤٤ وكان ترتيبها هكذا : دمشق ، بغداد ، البصرة ، الكويت ، الرياض ، المدينة المنورة ، مكة المكرمة ، بدعوة من جلالة الملك عبدالعزيز آل سعود لإنشاء معهد ديني في الطائف ، من أرض الحجاز . وكانت وقفتنا في عرفات يوم الجمعة في ١٣٦٣/١٢/٩ هـ ولله الحمد . والمعهد هو (دار التوحيد السعودية) وهو كالمعهد السعودي الذي أسّس بمكة .

(٣) الرحلة الى القاهرة والإسكندرية

سافرت في ١٩٥٥/٢/٩ م من دمشق الى القاهرة فالاسكندرية لانعقاد مؤتمر مواصلة العمل الاسلامي المسيحي ، لإحلال السلام ، محل الحروب والخصام ، بين الشعوب والأقوام ، كما انعقد قبل سنة في لبنان ، وقد ألقيت الخطاب الرئيسي في نصرة فلسطين ، ونشرته جريدة الأيام الدمشقية ، كما نشرت نص قرار المؤتمر بشأن فلسطين (في ٣٠ ج ٢ سنة ١٣٧٤ هـ و ٢٣ شباط ١٩٥٥ م) .

(٤) الرحلة الى البلاد الروسية

لبّى المجمع العلمي العربي بدمشق ، دعوة مجمع العلوم الروسي ، واختار أربعة من أعضائه وهم : الأمير جعفر الحسني ، والدكتور حسني

سبح ، والدكتور في الآداب سامي الدهان ، وكاتب هذه السطور محمد بهجة البيطار . (وكان ذلك في ربيع الأول ١٣٧٤ هـ و تشرين الثاني ١٩٥٤ م) .

وقد زرنا : موسكو ، وطاشقند ، وسمرقند ، ولينين غراد ، وستالين غراد ، وغيرها من المدن ، وكنت أصلي فريضة الجمعة مع إخواني المسلمين في مساجدهم . وقد زرنا المجامع العلمية ، والمكتبات الكبرى ، والمصانع ، والمزارع ، والمعارض ، في مدة خمسة عشر يوما ، وكان تكلمي مع الترجمان الروسي باللغة الفرنسية لأنه لا يعرف العربية ولا أعرف لغته الروسية .

(٥) السفر الى خطوط النار في فلسطين

حضرنا مؤتمر العالم الإسلامي الذي انعقد بدمشق مدة خمسة أيام (في رجب سنة ١٣٧٥ هـ ونيسان سنة ١٩٥٦) وكان يمثل اعضاؤه ــ وهم ٥٧ عضواً ــ ست عشرة دولة .

ثم ذهبت هذه الوفود وذهبنا معها الى خطوط النار بفلسطين ، ومررنا بعمان ، والقدس ، والخليل ، ونابلس ، وجنين ، وطولكرم ، والخطوط الامامية من القرى والمخيمات . ولما زرنا مدرسة البِر بأبناء الشهداء في عقبة جبر ، خطبت مستفزاً الحمية والأريحية ، فبلغ مجموع التبرع من هذه الوفود الكريمة خمسة آلاف ليرة سورية ، ولله الحمد والشكر .

(٦) الرحلة الى الولايات المتحدة

كانت الدعوة موجهة إلي من أصدقاء الشرق الأوسط لزيارة بلادهم ، ولتقريب وجهات النظر بين الأمتين الإسلامية والمسيحية . (وكان ذلك في شباط ١٩٥٦ م ورجب سنة ١٣٧٥ هـ) . والذي كلمني في ذلك ودعاني هو الدكتور هوبكنز نائب رئيس الجمعية المنفذ ،

ذاكراً ما يتوقع من فوائد للبلدين ، فلبيت الدعوة ، وكان في صحبتي الأخ الكريم الأستاذ فوزي القبلاوي من شبان فلسطين . وقد زرنا في رحلتنا هذه عشر مدن في شمالي الولايات المتحدة ، وهي : نيويورك . تورنتو من كندا . دوتريت . شيكاغو . سان لويس . هدستون . ناشفيل . اتلانتا . اتنس (من ولاية جورجيا) ريشموند . وكانت خاتمة المطاف واشنطون . قصدناها راكبين من نيويورك بالسيارة : وكنت خطيب الجمعة في جامع واشنطون ، بتكليف من الأستاذ بيصار الأزهري ، وهو رئيس المركز الاسلامي وخطيب المسجد : وقد سُمع خطابي بدمشق بواسطة المكبر ، وذكر لي بعض الإخوان في حينا الميدان خلاصته ، وكان موضوعه دعوة المسلمين في أميركا أن يمثّلوا الإسلام وأهله أفضل تمثيل بأخلاقهم الفاضلة ، ومعاملاتهم العادلة ، وكنت في هذه المدن ألقي عدة محاضرات مرتجلة ، في كل يوم وليلة ، وقد نشرت جريدة النصر (في ١٣/٢/١٩٥٦ م و ٢١/٨/١٣٧٥ هـ) نص الخطاب الرئيسي الذي ألقيته في هدستون في ٧ نيسان ١٩٥٦ تحت عنوان : مصدر الكتب السماوية هو الله تعالى ، والرسل لا تختلف في أسس دعوتها .

(٧) الرحلة الى باكستان والهند

لبّى الوفد السوري دعوة رئيس جامعة بنجاب في مدينة لاهور . واشتركنا في مؤتمر الندوة العالمية للإسلاميات (ج ١/١٣٧٧ = ك ١/١٩٥٧) . وشرفني الوفد السوري برئاسته . وقد زرنا العاصمة كراتشي ، وكنت خطيب الجمعة في مسجد لاهور ، باقتراح الوفود الإسلامية . ثم بعد انقضاء المؤتمر زرت دلهي (دهلي) من بلاد الهند (على حسابي) وزرنا المعالم والأعلام . وهذه جمعيات ثلاث تشتغل باللغة العربية وعلومها :

(١) نظام جمعية لسان القرآن باكستان .

(٢) الأخذ بالأساليب الصحيحة لتعليم العربية .

(٣) النهوض بالمدارس العربية حتى تتبوأ مكانها اللائق بها في محيطنا التربوي وانشاء مدارس ليلية لتعليم العربية .

(٨) الرحلة الى الرياض

تفضل جلالة الملك سعود بن عبد العزيز بدعوتي الى الرياض للمذاكرة بشأن انشاء جامعة اسلامية في المدينة المنورة ، فلبيت الدعوة (في رجب سنة ١٣٨٠ هـ = ك ٢ سنة ١٩٦١) ، وكتبت المنهاج وسلّمت نسخة منه الى جلالته ، وثانية الى سماحة قاضي القضاة الشيخ محمد بن ابراهيم آل الشيخ ، فنال الاستحسان ولله الحمد .

(٩) الرحلة الى مصر

وتوجهت من الرياض الى القاهرة (في ٢٧ رجب سنة ١٣٨٠ هـ و ١٤/١/١٩٦١ م) لحضور مؤتمر اللغة العربية المؤلف من أعضاء المجمعين القاهري والدمشقي . وكان انعقاده مدة خمسة عشر يوما .

(١٠) الرحلة الى المدينة المنورة

عدنا في العام القابل (في أواخر رجب سنة ١٣٨١ هـ) فزرنا الجامعة الاسلامية في المدينة المنورة ، واطلعنا على سيرها ، وألقينا محاضرات فيها ، وصلينا في المسجد النبوي ، وزرنا إمام الأنبياء والأتقياء ، صلاة الله وسلامه عليه ، وزرت صاحبيه ، وسكان البقيع ، وشهداء أُحُد ، واعتمرنا بمكة المكرمة ، وزرنا صديقنا الأكبر في جدّة الأستاذ الشيخ محمد نصيف ، وعدنا الى دمشق الشام .

نحمد الله تعالى على نعمته ، ونسأله المزيد من فضله وكرمه ، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ما ألفته أو أكملته أو شرحته :

لي من التآليف المطبوعة :

١ ــ (نقد عين الميزان) ألفته انتصارا لأستاذنا القاسمي وأئمة الرواية في الأخذ عن كل ثقة ثبت صدوق = ألفته أيام الطلب والتحصيل على الأستاذ ، وطبع في حياته سنة ١٣٣٢ هـ .

٢ ــ (نظرة في النفحة الزكية) هي دعوة الى مذهب السلف الصالح ، ونبذ المعتقدات الزائفة ، والآراء الفاسدة . طبع دمشق .

٣ ــ (الثقافتان الصفراء والبيضاء) ألقيتها محاضرة في المجمع العلمي ، وطبعت رسالة مستقلة ، وهي جامعة للأصول السديدة ، للثقافتين القديمة والحديثة .

٤ ــ إكمالي تفسير السيد الإمام ، محمد رشيد رضا لسورة يوسف عليه السلام ، مع مقدمة للسورة . طبع مصر .

٥ ــ تخريج أحاديث (قواعد التحديث ، من فنون مصطلح الحديث) لشيخنا القاسمي رحمه الله وشرحه . طبع دمشق .

٦ ــ نشر (مسائل الإمام أحمد ، لتلميذه الإمام أبي داود السجستاني) وهو أقدم كتب المكتبة الظاهرية ، وقد طبع في مطبعة المنار ، مع تعليقات لي ، وتحقيقات للسيد صاحب المنار ، رحمه الله تعالى .

٧ ــ تخريج أحاديث (كتاب البخلاء للجاحظ) وهو الذي حققه وصححه بعض رجال المجمع العلمي الكرام بدمشق .

٨ ــ كتاب المعاملات في الإسلام ، وتحقيق ما ورد في الربا للسيد صاحب المنار ، وقد أكملته بعد وفاته رحمه الله ، ووضعت له مقدمة وخاتمة طبع المنار .

٩ ــ تحقيق كتاب (الموفي في النحو الكوفي) ، ووضع تعليقات عليه تشرح غوامضه . وقد طبعه المجمع العلمي بدمشق سنة ١٣٧٠ هـ سنة ١٩٥٠ م .

١٠ ــ شرح كتاب (أسرار العربية) ، لأبي البركات الأنباري المتوفى سنة ٥٧٧ هـ وقد طبعه المجمع العلمي سنة ١٣٧٧ هـ ــ ١٩٥٧ م .

١١ ــ كتاب حياة شيخ الإسلام ابن تيمية من منشورات المكتب الاسلامي بدمشق . طبع دمشق سنة ١٣٨٠ هـ ــ ١٩٦١ م .

١٢ ــ كتاب حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر ، والثلث الأول من القرن الرابع عشر ، تأليف الشيخ عبد الرزاق البيطار حققه ونسّقه وعلق عليه حفيده محمد بهجة البيطار من أعضاء المجمع العلمي العربي بدمشق وهو من « مطبوعات المجمع » وقد تم طبعه في ثلاثة أجزاء : الأول سنة ١٣٨٠ هـ = ١٩٦١ م والثاني سنة ١٣٨٢ هـ = ١٩٦٣ م والثالث سنة ١٣٨٣ هـ = ١٩٦٣ م .

١٣ ــ الإسلام والصحابة الكرام ، بين السنة والشيعة ، طبعها المكتب الاسلامي في بيروت ، على حساب السلفي الكبير ، الأستاذ الشيخ محمد نصيف الشهير .

١٤ ــ الكوثري وتعليقاته ومعه رسالتان للاستاذين المعلّمي اليماني، ومحمد عبد الرزاق حمزة طبع مصر .

١٥ ــ مقال في حياة حجة الاسلام الغزالي ، وآخر في الاشتقاق والتعريب ، ألقيتهما في مجمعي اللغة العربية بمصر ودمشق ، فنشرا في مجلتيهما ، وتفضل مجمع القاهرة فطبعهما مستقلين أيضا .

ملاحظـة :

وفي مجلتي مجمعنا العلمي العربي والتمدن الاسلامي ، وغيرهما من الصحف والمجلات ، ــ في ديار الشام والسعودية ومصر والعراق ــ عشرات المقالات المتنوعة ، تحتاج الى جمعٍ وطبعٍ ، رسائلَ مستقلة ، وبالله التوفيق .